595
٥٩٥

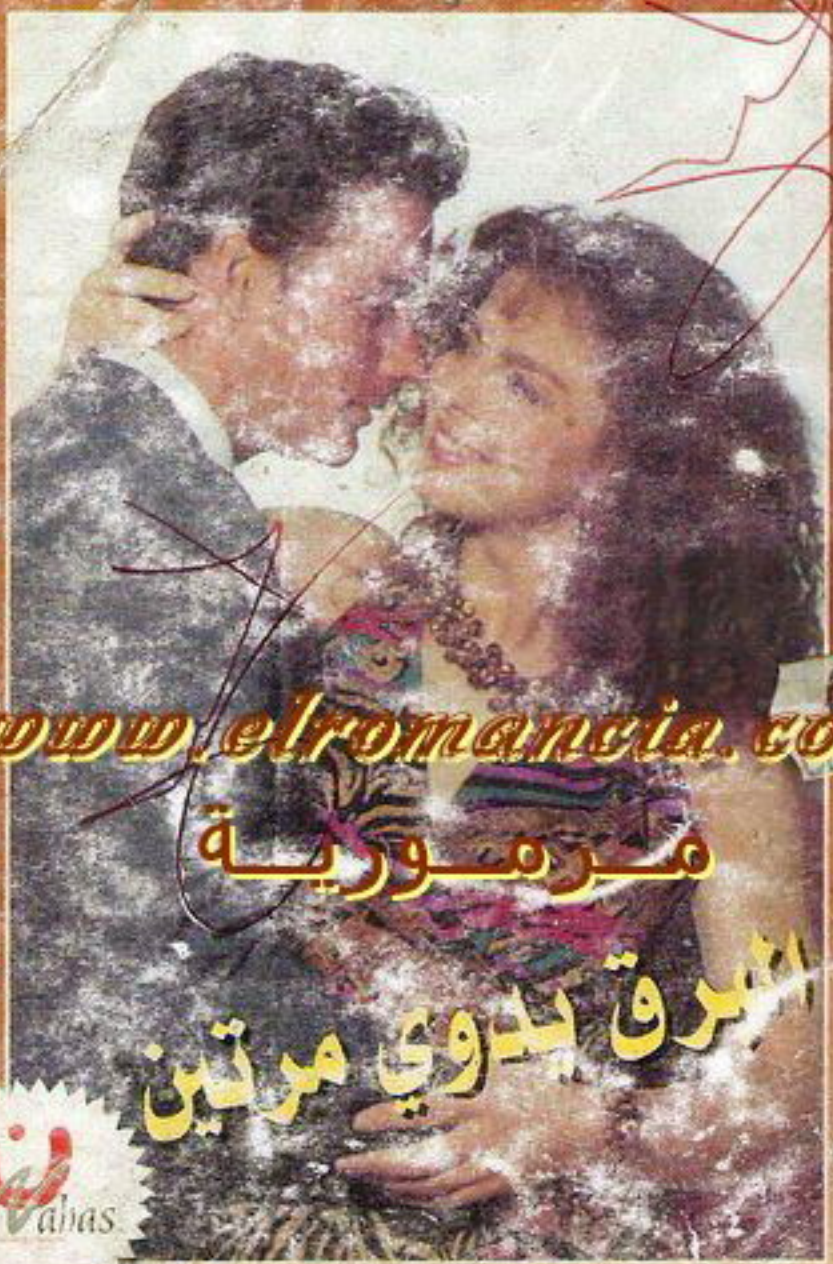

www.elromancia.com
الأهرام

مرمورية

الغرق يدوي مرتين

Nahas

البرق يدوي مرتين

دنيز روبن

لأول مرة في حياتها تعرف معنى الحب لقد عانت على

اثره يوم تعرفت إلى الشاب الرسام دومينيك ميلن. أنكر

دومينيك حبه لكريستينا لكنه عاد إلى نفسه وعادت هي إلى

لندن لتنطلق في الحياة من جديد لكن شبح الماضي بقي

يطاردها إلى أن تزوجت. وانعكست نتائج ذلك الحب سلبا

عليها

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم
السعودية: ١٠ ريالات - الإمارات: ١٠ دراهم - الأردن: ١.٥ دينار - المغرب: ١٠ دراهم
عربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس: ٢ دينار

« لا اعتقد اننا سنلتق ي من جديد.»

وجهرت هي بتلك الكلمات التي تفوّه بها.

« كلا، ظنّي أنّنا لن نلتقي. لقد احبني يوم كنت اعني له، لكن يبدو الآن انه اراد فسخ العلاقة.»

فقدت الامل في الاستمرار بحياتها اذ بدا من الصعب العيش دونه اطلاقاً.

فجأة استدارت ثم توجهت الى حيث الكنبة وارتمت فوقها ثم دست وجهها في الغطاء الحريري المطرز الذي لامس يد الكنبة.

ارتجفت وكانت في حالة يرثى لها اذ انتشلت رسالة دومينيك من ح قيبتها، أخفتها في حناياها ثم تخلصت منها بعد ان مزقتها.

دنيز روبن

ولدت دنيز روبن وترعرعت في تاسمانيا المحاطة بالغابات والجبال والبراري، لهذا كرهت المدن الكبرى. اول عمل قامت به هو التعليم وحين تزوجت تابعت دراستها لنيل الدكتوراه في الفلسفة واخذت تقرأ الروايات العاطفية للتسلية. ثم تحولت التسلية عندها لكاتبة الروايات بنفسها مما زادها متعة وسعادة. متزوجة ولها ثلاثة اولاد تحب العمل في الحديقة والسير في الغابات وسماع الموسيقى.

Khouloub Abir 595

البرق يدوي مرتين

دنيز روبن

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الاول

كانت تمطر بغزارة ليوم بكامله في روما. تحول الصقيع والمطر الى جليد وعم البرد القارس.
وكانت هناك فتاة ترتدي سترة وقميصاً أسود، كما عقدت شعرها الطويل بأناقة لافتة، ثم لفت حول رأسها مشلحاً حريرياً اصفر اللون يقيها حدة البرد.
كانت تسير على جسر سانت – أنجلو برشاقة وأنوثة ترتجف أوصالها للريح العاتية التي تهب مزمجرة فوق الجسر. ملامح وجهها الجميل كشف عن حزن عميق وكآبة. أمسكت بمنديل أبيض تمسح به دموعها.
أسرعت الخطى لاجتياز بوابة اعتلتها قنطرة.
انقطع المطر فجأة، وتحولت الغيوم الرمادية السوداء الى بيضاء ثم انبثق نور أضاء السماء.
إنها طبيعة روما كعادتها مشرقة. بدت جدران القصر العتيق باهرة وبلحظة من اللحظات تبددت الاشياء واستحالت أجمل.
كانت حشود مجتمعة على امتداد الجسر نزولاً حتى «فيا دي توردیمونا».
وتمنت في تلك اللحظة ان تغادر «بالازو» حيث عاشت لفترة، غير انها على الرغم من حبها الشديد لتلميذتيها الصغيرتين فرانسيسكا وتوليا، تتوق للابتعاد ولو لسنة واحدة عن مقر عملها،

حيث تجد سعادتها وحياتها مع من تحب. الحياة بكل ما فيها من عواطف جياشة، أحست بها في تلك اللحظة بالذات وشعورها نحوه كان دائماً ولم يزل راسخاً في مخيلتها. التقته حين كانت تصفف شعر هاتين التلميذتين وتعدهما للجلوس بلباس رسمي أنيق أمام الرسام الانكليزي ويدعى دومينيك. وطالما كان هذا الاسم يردد على مسامعها مراراً فتفرح. كان ذلك الرسام الماهر من اصل انجليزي غير ان أمه برازيلية المنشأ. درس فن الرسم في لندن ومن ثم تابع دراسته في باريس. أحب الفنون على انواعها وكانت هوايته التجوال في متاحف روما بكل ما فيها من كنوز. تذوق تلك الفنون العريقة بشغف ونهم لا ينقطعان، ناهيك عن دور العرض الفخمة التي زارها وهي حافلة بروائع لفنانين ذاع صيتهم.

لم يكن دومينيك متزلفاً يهوى الاستجداء من السيدة لورين التي تكن له مودة واحتراماً عميقاً، لصداقة قديمة تربطها بوالدته على الرغم من ضائقته المادية وتعسر أموره في الحياة.

عرفت السيدة لورين، والتي كانت تعمل كريسيدا عندها مربية لطفلتيها، بعملها الدؤوب واحتضانها لمبتدئين تمرسوا في اختصاصات وجامعات شتى من بينهم دومينيك الذي اختارته ليكون رسام ابنتيها الخاص بعد ان طلبت منه رسم لوحات متوسطة الحجم تبرز جمال تلك الفتاتين والتركيز

بريشته على وجهيهما اللذين اختصرا فتنة وروعة الجمال الايطالي بتلك العيون الواسعة والملامح الجذابة. أسرعت الفتاة الانكليزية تستعد للقائها الاول بذلك الفنان.

تصورته قادماً الى غرفة الاستقبال، متأبطاً أوراقه يختال بقامته الرشيقة ووجهه الشاحب، فكما وصفته لها لورين يتمتع ببشرة حنطية وعينين سوداوين وشعر أسود كثيف – شاب إيطالي بكل ما للكلمة من معنى.

كان يوماً دافئاً من أيام ايلول (سبتمبر) الجميلة، حين قدم الى ديل فاريس بالازو. ارتدى بنطلون جينز باللون الازرق الفاتح وقميصاً أزرق وعلى كتفيه ألقى معطفاً أسود ينم عن ذوق رفيع. التقى هناك بفتاة انكليزية، أعجبت به كثيراً لكنه لفرط انغماسه في هوايته التي امتهنها، لم يعط الامر اهتماماً، وظهر بمظهر الشاب اللا مبالي لأمر أحد مما جعله متميزاً ومختلفاً عن غيره في كل شيء.

فقد حاز على إعجابها منذ اللحظة الاولى. جلست تحدق به وهو غارق في تفكيره، يرسم الصغيرتين اللطيفتين. بريشته الانيقة وبخفة أصابعه رسم لوحة فنية رائعة بدقائق معدودة. كان يبدو سعيداً باسم الوجه وهو يقوم بعمله هذا. بعد ان فرغ أعطى اللوحة للفتاتين اللتين كانتا تنتظران بفارغ الصبر. ثم قال:

« هذه لوحتكما الجميلة، تبدوان فيها جميلتين!»
نظرت الى تلك اللوحة ثم تنهدت قائلة:
« يا لجمالها، تبدو مثل لوحات رافائيل. أليس كذلك؟!»
ضحك ساخراً.
« لست رساماً بمهارة رافائيل المشهور ... أؤكد لك ذلك.»
أجابته:« اذن بمن من الرسامين المشهورين، تشبه نفسك؟»
« انا رسام فحسب.» أجابها بذلك ضاحكاً. بأناقته المعهودة وكبريائه، استطاع ان يسلب قلبها ويفتنها من اول لحظة لقاء.
لكن بوقاحته المبتذلة وحشريته العلمية كان أحياناً يتركها تتأرجح ما بين الشك واليقين. وبذكائها الحاد استطاعت لفت نظره اليها.
إنصب اهتمامه الكامل على توفير ثقافة فنية تليق بفتاة انكليزية مثلها. كان يزور معها متاحف ومواقع اثرية في روما ويعمل على شرح ما استطاع من افكار استحوذ عليها خلال ممارسته لتلك الهواية التي احبها كثيراً. بإصغائها وصبرها تمكنت من تكوين فكرة عن فن الرسم بكل ما فيه من دقة وبراعة.
بدأت القصة حين دعاها الى الاستديو ذات مرة طالباً منها رسمها.
إلا انها أجابته بفتور:

« هل انت متأكد أنك تريد ان ترسم بريشتك فتاة تشبهني أنا؟!»
سألها للمرة الثانية وهو مرتبك بعض الشيء:« هل توافقين على مثل هذا الامر؟» وصمت منتظراً.
كان يبدو مستاءً جداً وهو ينتظر ردها، وهي بدورها ساورتها بعض الشكوك وبدت مضطربة لكنها أذعنت فيما بعد، إذ تساءلت وهي تقف صامتة ان امراً كهذا ليس غريباً على الاطلاق، فلورين نفسها تحبه، فتيات كثيرات قد فتنها دومينيك بجاذبيته الساحرة، وهي ليست سوى فتاة عادية بهرتها صفات رائعة في شخص دومينيك كسرعة خاطره وذكائه المتوقد وأشياء كثيرة أخرى، اضافة الى كونه رساماً عظيماً. وهو يمتلك الكرم والشهامة ودماثة الخلق مما حدا بها الى الوقوف عند رغبته والجلوس أمامه بصبر وجلد بكل طيبة خاطر.
وهو يحاول رسمها بفن ومهارة، كان يحلو له بأن يبادرها ببعض الكلمات الطريفة فقد اعجبته كما اعجبها، وفي كل مرة كانت تحاول اثارته ببضع كلمات تنم عن شعورها وعاطفتها نحوه.
فقد قال لها:
«بالنسبة لي، أعتبرك فتاة مختلفة بملامحك الفاتنة ووجهك الصغير وعينيك الخضراوين الشبيهتين بعيني قطة جميلة تنقضّ على من يداعبها إلا انك والصدق يقال، جلودة ولطيفة في الوقت نفسه وأيضاً متوقدة ذكاءً.

www.elromancia.com

لست كباقي الفتيات الاخريات اللواتي تشغلهن أمور سخيفة في الحياة كالثياب والمجوهرات الثمينة وغيرها. تجيدين التحدث بمواضيع مختلفة حتى انك تتفوقين بمقدرتك وقدراتك العقلية على لورين المحترمة التي لا تحسن الاختيار من وقت لآخر. إني حقاً مستمتع ألذ الاستمتاع بحضورك الكريم.»

بدأ يقصّ عليها قصصاً مختلفة تأرجحت بين المزح والجد.

كان جاداً في ما قال وقد حمّل كلماته وعبراته إطراء ما بعده إطراء. انها ابنة الثانية والعشرين وللمرة الاولى في حياتها تقع في حب رجل لطالما انتظرته. رجل انيق وسيم تتمناه كل فتاة.

كان قد اتخذ تلك الهواية الرائعة مهنةً استحوذت على اعجاب كل من عرفه، غير انه لم يكن يحتاج الى المال فحالته المادية جيدة. وعرفت من خلال عبارات وجيزة تلفظ بها انه مثل عصفور طيار يتنقل من بلد الى آخر يستكشف فنوناً رائعة يتميز بها وينعم بحياة هادئة بكل ما فيها من مباهج ومسرات.

استطرد دومينيك في نقاشه معها حول مسائل تتعلق بما يشبه الماورائيات، الفلسفة ومذاهب متعددة لأديان مختلفة. فيما عدا السياسة التي كان يمقتها، وهي بالنسبة له مواضيع لا يجوز التطرق اليها. كونه فتى انكليزي من اب انكليزي الاصل تربى ونشأ على عادات وتقاليد انكليزية صارمة لم ترق له

في يوم من الايام. وحنينه لوالدته البرازيلية الاصل أخذ منه مأخذاً وورث عنها عدائيته لكل ما يتعلق بالبروتوكول والاصول.

وقفت الى جانبه على شرفة أطلت على مدينة روما التاريخية. حينها اقتنعت أنها لا محالة، قد أسرها حسنه وطلته البهية.

كانت دائمة التفكير فيه وهو أمامها يقوم برسمها بأوضاع وتعابير مختلفة.

كانت هناك لوحة برزت فيها برداء من صوف قرمزي اللون وقد امسكت بين يديها قطة سوداء، عمل دومينيك على رسمها بإتقان فبدت عيناها شبيهتان بعيني القطة الخضراوين .

وقد بيعت تلك اللوحة لمدير صالة عرض محلية تستهويه الفنون.

توقف عن الرسم لحظات وخاطبها:

« أرى ان عينيك الجميلتين الشبيهتين بعيني القطة تبعثان السرور في نفس من ينظر اليهما وأراك الآن تماماً كالقطة الصغيرة منطوية، دافئة لكن لست مثلها مخادعة وتترقبين للانقضاض على من يراك.»

أجابته:

« أرى ان القطط تختلف في حبها الدائم للاستقلال والحرية، أليس كذلك؟»

« أظن ان نظرة الاهل والاصدقاء مختلفة عن تلك التي يرانا بها الآخرون.»

www.elromancia.com

والآن اختلفت الاشياء وتبدلت، إذ أصبح دومينيك جزءاً من حياتها المستقلة.

كان يوماً من ايام كانون الاول (ديسمبر) الشديد البرودة، حين شعرت برغبة تجتاحها للذهاب اليه ولقائه في الاستديو الخاص به.

في ساعات الغسق الاولى ومع أفول آخر خيط من خيوط الشمس الدافئة، قصدت مكانه. شعرت بالضيق ينتابها وأخذت تسمع ضربات قلبها القوية.

متى ستنتهي قصته معها؟ متى النهاية؟ أوجست بخوف إذ بدأت علاقتها به تتطور يوماً عن يوم. أحبته بطريقة متحضرة وهي التي لا تؤمن بالارتباط بعلاقة ودية وفقاً لشروط مضى عليها الزمن، ارادت ان يكون حبها له مختلفاً بكل تفاصيله لكن في المقابل كانت تطمح لعاطفة نبيلة وقوية فترضى وتقتنع. لكن الامر اتخذ طابعاً آخر.

عاطفتها نحوه تبدلت بعد لقائه بها. وتكررت زياراتها له يوماً بعد يوم إلا ان تلك العلاقة لم يعلم بها أحد سواهما حتى انها أخفت الامر عن والديها وصديقاتها. هي الآن واعية ولها حق الاختيار.

أحست بسعادة عارمة وخالجتها شكوك مريرة. ففي كل مرة كانت تزوره، تشعر برغبة بالبقاء معه طيلة حياتها. وحين تتركه تلهب الغيرة فؤادها وتتمنى لو لم تعرفه.

كانت تنتظر تلك اللحظة الحاسمة حين يفترقا. أصبح دومينيك بالنسبة اليها مثل كابوس في ليل طويل.

استبد بها ارق قض مضجعها ونحل جسمها ولاحظت لورين انها لم تعد مشرقة كما في السابق. إلا انها لم تفقد في يوم حيويتها مع تلك الصغيرتين الرائعتين.

لم يدري دومينيك كم تسبب لها من آلام. مثله كباقي الرجال الذين يؤمنون بالحب والعواطف النبيلة. انها المرة الاولى التي تشعر فيها بأسلوب مختلف في تعاملها مع من تحب.

شأنه شأن كل الرجال، لا يحب الارتباط من اي نوع. يريد التملص فجأة متى بدأت العلاقة تزداد. إلا انها على الرغم من حبها له، أبقت الامر سراً ولم تبح بها لأحد وهي التي حاولت إغواءه بشتى الوسائل كي يبقى لها دون غيرها، فغيرتها التي اشعلت فؤادها قد كشفت مكامن ضعفها وجعلتها فريسة للكآبة والحزن بكل معانيه.

ان اللوم يقع على عاتقها فقط، فهي على علم بتصرفاته الطائشة وانه ليس ممن يحبذون الارتباط بأي شخص وقد قال لها من قبل بأنه يطير من بلد الى آخر مثل الطائر الحر.

كان يأتي الى شقته الصغيرة مجموعة من الفنانين المبتدئين، فيضج المكان بهم ويحظى الجميع بلحظات رائعة من بينهم فتاة دومينيك التي أحبت أصدقاءه وأصبحت على معرفة وطيدة بهم. في المبنى نفسه، تقيم عائلة إيطالية يربطها بدومينيك علاقة مودة قديمة. حيث توفيت الزوجة مخلفة ست اولاد صغار. قام دومينيك بتفقد العائلة هذه وقدم

www.elromancia.com

ما يستطيع من معونة من ضمنها تكاليف الدفن وما شابهها مثل اي ايطالي محب. فقد وهب مبلغاً من المال لمساعدة الرجل مع عائلته بمن فيهم زوجته الجديدة التي أتى بها لرعاية الاطفال وقد تصرف كعادته التي دأب عليها طوال حياته. فغيره من الاغنياء لا يكترثون للفقراء والمحتاجين. إلا ان تلك العاطفة النبيلة التي عرف بها لم تقتصر في يوم من الايام على من عرف من فتيات. وهي التي أحبها حباً جماً لم تحظ منه بعاطفة مقابل حبها الكبير.

تيقنت حينها ان نهاية قصتها معه قد اقتربت.

تلك الايام الجميلة الوادعة التي قضتها معه، كانت حلمها الذهبي. فقد عرفها الى أماكن لم تكن تعرفها من قبل في (ديل فاريس) وزارت مطاعم ومقاه رفيعة المستوى وفي دوامة تلك الايام السعيدة، كان دومينيك يملي عليها ما اكتسبه من علم ومعروفة في مجاله الفني.

وأتى اليوم الموعود – إذ ذات أمسية، أمسك بيدها فاقتربت نحوه خطوة ثم بكلتي يديه رفعها عالياً وسط اللوحات الفنية المبعثرة، هامساً بأذنها كلمة طالما انتظرتها. قال لها « أحبك».

« قطتي الحبيبة، أحبك، من كل قلبي، وتعنين لي الكثير.»

غمرتها سعادة لم تعرفها وتحس بها من قبل. فأحست بنبضات قلبها تطرق بشدة، وتمنت ان يدوم فرحها.

كانت تنظر من نافذة الغرفة تسامر النجمات المضاءة في صفحة السماء.

في تلك اللحظة، تذكرت لندن حيث نشأت وهي صغيرة إلا ان مكانها هنا في (ديل فاريس بالازو)، في روما، حيث عرفت الدفء والحنان. فهي لم تأمل في يوم من الايام ان تصبح حبيبة لرجل نبيل مثل دومينيك.

من الليلة فصاعداً، أشرقت شمس جديدة في حياتها. والأيام الماضية التي عرفتها بتعبها وشجونها وبأشيائها التي لم ترق لها أصبحت الآن في طي النسيان. مبادئها القديمة التي كانت تؤمن بها وتسيطر على تفكيرها تبدلت تلك اللحظة. أصبحت بكل كيانها ملكاً لدومينيك. هام بها وعرفت سعادة لم تدرك نتيجتها.

وانقضى شهر بأيامه ولياليه وساعاته القليلة التي تمخض عنها حب جارف لا حدود له.

انقضى اسبوعان ولم تره. أحست بفتور العلاقة وقررت البقاء حيث هي وعدم زيارة دومينيك. وهي غارقة في افكارها السوداء أتتها رسالة منه تقول:

«قطتي الجميلة. لن استطيع ان اراك اليوم إذ يتحتم عليّ السفر الى باريس لاسباب مفاجئة طرأت تتعلق بعملي. سأخبرك حين أعود.»

لاحظت ان اتصاله بها قد انقطع، فهو الذي لم يخط في حياته كلمة لشخص، أرسل لها بتلك الرسالة التي ضمنها حبه واشواقه.

ظلّلت عليها عتمة حالكة، فروما التي أحبتها كثيراً أصبحت فراغاً قاتلاً يسودها السكون في غياب دومينيك. كان لا يقطع الصمت الرهيب سوى رن جرس الهاتف وتساؤلات الاولاد عنها وعن سبب غيابها. أفكار شتى راودتها عن سفره المفاجىء وعمله في الخارج وأشياء أخرى. وهي لا تملك الحق في السؤال والتدخل بحيثيات حياته اليومية. حبيبته لشهرين اثنين وكفى.

وتملكت بها كآبة، عانت على أثرها الكثير. فأرق الليالي وقلة النوم. كل ذلك جعل منها فتاة نحيلة لا تقوى على شيء.

أحست بغيرة قوية تنهش صدرها. تصرفاته لم تعد كسابق عهدها. لكن كل تلك التخيلات والظنون كانت تتصورها، فدومينيك محب وحنون وهي حبيبته لا غير.

أوت الى الفراش، وكانت تشعر بألم لم تعرف مصدره غير ان لورين تعرّفت الى سبب مرضها واقترحت انه ما يسمى بالحمى الرومانية. وبكل حنان ومحبة حاولت الاهتمام بها ورعايتها.

ذات مساء وهي جالسة في سريرها، رن جرس الهاتف فإذا بدومينيك يتصل. فقفزت فجأة من مكانها وهتفت بفرح كبير حين سمعت صوته: «كيف حالك حبيبي؟ أحبك.»

أجابها ضاحكاً:

« قطتي الحبيبة.» وضحك ساخراً.

قال:« سأكون في روما، صباح يوم السبت المقبل.»

أخذت تعد الايام التي تفصلها عن السبت ثم هتفت قائلة:

« حسناً، سأكون منتظرة في منزلك في الرابعة كعادتي.»

اجابها:« بالطبع حبيبتي، كوني بانتظاري، فأنا بأشد الشوق اليك.»

ساد صمت. يظهر ان الرجال أشد حذراً من النساء هذه الايام يقولون ما يودون قوله متى شاؤوا. رده كان مختصراً.

قالت بأمل كبير:

« الكل يتمتع الآن خارج منزله. وأنا هنا ...»

فقال:« أراك يوم السبت القادم. الى اللقاء يا قطتي الصغيرة.»

ارادت متابعة كلامها، لكن الخط انقطع على الفور.

مضى وقت طويل على غيابها عن تلميذتيها فقد انقطعت عن التعليم منذ فترة وجيزة ولا تدري ما حل بهما الآن. بدأ قلبها يخفق بقوة، وتابعت تحادث نفسها.

« الخميس، الجمعة، السبت. وماذا بعد – آه دومينيك – دومينيك.»

بقيت تراودها أفكار سيئة حول ما سيحصل فيما لو تأخر دومينيك.

هل سيأتي الى المنزل أم سيبقى في باريس! ماذا

لو حدث له اي طارىء. ستعرف بالتأكيد من لورين صديقة والدته.

تخايلت نفسها في أول لقاء لها مع دومينيك في عناق حار، وهو يقبلها قبلات كادت لا تقوى عن المقاومة. ثم وهو يمسك بيده ريشته ويقول:«لا تتحركي، إبقي حيث انت. تعابير وجهك الجميلة جذابة. أريد ان ارسمك كما انت الآن .»

كعادته في كل مرة، كان يفقدها صوابها قبل ان يأخذها بين ذراعيه.

بات عليها الآن ان تلبي أوامر لورين، لتأخذ ابنتيها لزيارة عمتهما في حي من أحياء روما، وعليهم بالعودة وقت العشاء.

لأول مرة تبدو مستاءة، لا تقوم بتحقيق رغبة لورين، وترفض معتذرة عن القيام بواجبها.

« أرجوك، اعذريني. لدي موعد هام ...» وجهت اليها الكلام، متوردة الخدين، خجولة.

بدت لورين متفاجئة ومحتارة.

« هل الأمر هام جداً؟»

فكرت الفتاة باعتذار، فقالت:

« قريبة لي تنتظر في المطار، علي اصطحابها ومرافقتها الى حيث ستمكث في روما.»

أخيراً، اذعنت لورين واخذت تفكر في حل للقضية. عندها تنفست كريسيدا الصعداء.

ان لا تأتي الى منزله يوم السبت القادم وتكون في انتظاره أمر لا تتحمله ...

والآن، وهي في طريقها الى شقته بدأت تتذكر لحظات سعيدة عاشتها في روما. روما مدينة الضوء والارستقراطية المذهلة بكل حيويتها وضوضائها. روما التي أحبتها منذ زمن بعيد.

وقفت تتأمل نهر التيبر المتدفق تحت الجسر العتيق، منساباً انسياب الذهب، ومياهه عكست لون السماء الازرق الصافي. بدأت الغيوم تختفي، وتفكيرها منشغل في ما سيفعل دومينيك هذا المساء.

على الارجح، سيرتاحان لساعات قليلة في الشقة الصغيرة ومن ثم يخرجان لقضاء أمسية في أحد مطاعم حي (بيازا)، اي في سانت إيغنازيو، حيث يتناولون وجبة فيتشيني – المفضلة لدومينيك. وبعد طلب الفاكهة والقهوة، سيمضي دومينيك بعض الوقت يرسم منزلاً يتراءى له من خلف قضبان حديدية لبوابة كبيرة، او صف حجر، نبت عليه العشب وأشياء أخرى تثيره وتضيف الى غموضه ورومانسيته.

« آه، دومينيك، دومينيك!»

عادت الى المنزل الذي كان لفنان من (فلورينتين)، صديقاً له، حيث أمضى فصل الخريف بكامله عنده ومن ثم رحل عائداً الى بلده.

صعدت السلم الخشبي المؤدي الى شقته بخطى سريعة، وهتفت:« دومينيك، دومينيك» ، وهي تلهث من شدة التعب. كعادتها مشت باتجاه منزله غير ملمة بما يدور من حولها.

www.elromancia.com

منذ ثلاثة ايام اتصل بها يعلمها انه قادم صباح هذا اليوم وسيلتقي بها بعد الظهر. لكن، ما الذي حصل حتى عاد بسرعة، حزم امتعته ثم عاد ثانية دون ان يراها؟ وكأنها أفاقت من كابوس مخيف.

التفتت الى الظرف الملقى على الطاولة وقد كتب عليه اسمها. بدا مألوفاً بالنسبة لها، انه خط دومينيك الذي تميزه من بين كل الخطوط.

مزّقت الغلاف بسرعة وأخذت تقرأ كلمات رسالته بعد ان فضّتها. امعنت لوقت طويل في قراءتها للرسالة وهي تهمس:

« يا له من رجل غير منظم.»

بدأت بالقراءة، عزيزتي، لا ادري ما علي ان اقول. لم يتوجب علي الذهاب دون ان أودعك. أقسم اني لم أحسب ان الامور ستسوء الى مثل هذه الدرجة. تعرفين اني لست من مؤيدي الزواج، لكن معك اختلف الوضع، فقد عشت أجمل أيام حياتي.

أخبرتك أني أحببتك كما لم أحب من قبل، لكني لست من نمط أولئك الذين يرتبطون بزواج، اعترف ان الامور أفلتت من يدي. أحبك وتحبيني. عملت كل ما في وسعك من اجل انجاح العلاقة وكانت تضحيتك كبيرة. لكني في المقابل لا استطيع فعل شيء. اود اللقاء بك وإسعادك والبقاء بجانبك كل فترة عملك في روما، لكن ظروف طارئة حدثت في باريس وبدّلت كل خططي هذا الصيف. فقد زرت والدتي، وقد أخبرتك ان والدي كان قد توفي

مذ كنت يافعاً وتزوجت والدتي للمرة الثانية من رجل برازيلي يصغرها بكثير وبقيت لفترة طويلة لا اراها.

ومن ثم توفي زوج أمي في حادث سيارة ومنذ ذلك الوقت وهي مريضة وغير سعيدة. كنت قد بقيت معها لو لم تتزوج، فحين تزوجت به كانت في الخمسين من عمرها وجميلة جداً، لكن الآن، هي في باريس، حيث اتت للعلاج من مرض عضال على يد اختصاصي في الاورام السرطانية، تثق به. لكن للأسف لم يستطع فعل شيء. جزعت إذ رأيتها نحيلة وشاحبة اللون غير ان ممرضة خاصة تهتم بها. وعدتها بالمجيء إليها في البرازيل والعيش معها.

حان وقت الوداع، عزيزتي، ولا اعتقد اننا سنلتقي من جديد. أعلن لك عن جبني وخساستي، ولا اقوى على وداعك وجهاً لوجه، قطتي الصغيرة. انت نبيلة جداً واعتقد ان الوداع سيكون مؤثراً جداً، لذا فضلت الهرب. كان يجب ان اودعك بواسطة الهاتف. اعترف اني أناني ومتوحش. رغبت حقاً بالبقاء لرؤيتك مع علمي انك ستأتين الى الشقة.

حاولي ان تسامحيني. أقل ما في الامر، اني لست مغرماً بإحداهن – أعدك أني لن احب سواك ما حييت – أشكرك، وأحبك بأسلوبي الخاص.

كوني سعيدة في حياتك. دومينيك.»

www.elromancia.com

وعلى مهل، بعد ان فضت الرسالة وقرأتها، طوتها ثم وضعتها في غلافها الخاص ومن ثم دستها في حقيبة يدها. كان يلزمها بعض الوقت لتفهم مغزى الرسالة. فالشاب الذي احبته عاجزاً عن وداعها. « يا للهول، يا له من امر مخزي!»

أحست بألم شديد لم تعرف مصدره إذ انتهت من قراءة رسالته وشعرت بكآبة محزنة.

واستدركت سطراً قرأته في تلك الرسالة « اعدك اني لن احب سواك.»

كادت تقع على الارض من فرط الضحك. هل مثل هذا الكلام يهدىء اعصابي. وما الفائدة إن هو أحب فتيات أخريات غيري، سواء في باريس، البرازيل او في اي مكان آخر؟ لكن ما يهوّن عليّ ويخفف من حدة المي، انه تركني ليعيش مع والدته وليس سواها. يا له من رجل! من فرط حساسيته لم يتمكن من مواجهتها وتركها وحيدة تتلقى ضربة مؤذية ستتذكرها لمدى العمر.

رددت عبارة وردت في رسالته:

« لا اظن اننا سنلتقي من جديد. ولا انا اعتقد لي رغبة في لقائه في اي وقت من الاوقات.»

لكن الحياة تبقى مستمرة مهما تأزمت الاوضاع وعليها البقاء وحيدة. هذا امر مستحيل من وجهة نظرها.

فجأة ارتمت على الكنبة، وغمرت وجهها بغطاء مزخرف.

ثم تناولت الرسالة من حقيبتها وحملتها بالقرب من صدرها ثم مزقتها شر تمزيق.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

انتشلت كريسيدا فستاناً حريرياً باللون الزهري والابيض، وسترة قصيرة من علبة كبيرة. علقت الفستان بمفتاح الخزانة في غرفة نومها، ثم وقفت للحظة تنظر اليه برضى وفخر.

« يا لك من فستان جميل. أظن ولّت الايام القديمة المضجرة... وأيام سعيدة تنتظرني. ليتك تعلم أهميتك عندي – يا فستاني الزهري!»

استدارت والتفتت حولها، غاضبة. كانت الغرفة في فوضى تامة، صناديق وعلب حقائب سفر، ثياب غريبة الشكل وزعت على سجادة الغرفة، الكراسي والسرير. قالت:« يا لها من فوضى عارمة.»

تمنت لو انها تملك غرفة اضافية، تستوعب تلك الاشياء. لكن، كانت هناك واحدة، إلا ان ابي يشغلها! دكتور راي، المتقاعد المقعد كان من شغل غرفة الضيوف. استعملها للقراءة حيث ينعم بقسط من الراحة بعيداً عن ضجة الآخرين المجتمعين في قاعة الجلوس وغرفة الطعام. كريسيدا ، لم تكن مزعجة على الاطلاق، لكن أخاها سيمون الذي يبلغ الرابعة عشرة من عمره هو من يفسد كل شيء ويقلب الغرف رأساً على عقب، هذا وبما انه من هواة الموسيقى، فقد حوّل المنزل بكامله الى ملهى صغير للاصدقاء من عمره.

لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لأمي كانت تفكر كريسيدا بما عانته والدتها إثر إعاقة والدها إذ توجب عليها تسيير دفة الامور في المنزل وعلى والدي الاهتمام بأقساط المدرسة. اما الطبخ فكان من اهتمام أمي ... وبقية الاعمال المتعلقة بالمنزل تقوم بها سيدة في مقتبل العمر.

بعد مضي سنة على مرض جون راي، توجب عليهم بيع منزلهم الكبير في (هارست بياربوان) وشراء منزل آخر في بريغتون. لم تعجبهم بريغتون على الاطلاق، لكنها بلدة ارخص بكثير من غيرها وبالرغم من كل شيء، أذعنوا للامر، باستثناء اعاقة والدهم التي عكرت عليهم صفو حياتهم.

فريدا راي، اللبقة، الملمة بالتصميم والديكور وتنسيق الالوان ومزجها مع بعضها البعض. فقد اهتمت بالمنزل وجعلت منه تحفة للناظر. انها نمساوية الاصل وعاشت لمدة خمس وعشرين سنة في انكلترا وتتكلم الانكليزية بصعوبة.

دخلت غرفة نوم كريسيدا، تلوح بصندوق صغير في يدها.

« القبعة، اللعبة الطريفة! البسيها.»

وقذفت صندوقاً صغيراً نحو كريسيدا فالتقطته ضاحكة.

« أعجبتك أليس كذلك؟»

نسيت فريدا راي امر القبعة ثم التفتت الى اللباس الزهري فأشارت اليه، وعلى وجهها علامات تعجب.

« يا للاثارة ... حبيبتي ... إنه يناسبك.»
تنهدت كريسيدا، وبعد ان جلست على حافة السرير، بحثت في مكان ما عن علبة السجائر الخاصة بها. أشعلت سيجارة ونظرت حزينة الى والدتها المسكينة. تعجبت كيف انها تختلف عن والدتها اختلافاً كبيراً، فتلك امرأة ممتلئة عارمة الصدر، شقراء وأكثر طولا من كريسيدا. في التاسعة والاربعين من العمر، غير انها فقدت بعض جمالها وانوثتها. ترتدي ثياباً واسعة لا تناسبها أثناء العمل في المنزل. غير ان كريسيدا تعتبر ان والدتها فيما لوارتدت لباساً انيقاً، ستبدل صورتها تماماً. لا زالت سحنتها كما كانت سابقاً، وشعرها الاشقر وان تخلله بعض الابيض الفضي فقد بدا ملفتاً إذ عقدته في مؤخرة رأسها.
عملت بجد ولم ترحم نفسها. لا زالت تحب ذلك الرجل الذي تزوجته يافعاً في مقتبل العمر. كانت محط اعجاب الاصدقاء. لكن كريسيدا لم تشعر بحرارة والدتها التي غمرتها بحبها مع أخيها الصغير. كانت والدة محبة، تقربت الى ابنها سيمون وأفسدته بدلالها له. كان يشبهها في كل شيء عكس كريسيدا التي كانت تشبه والدها.
سعد والدا كريسيدا إذ احبت سام الذي يعمل في مصنع يعود لعمه ويملك بعض الاسهم فيه. شاب وسيم، محترم ويحب كريسيدا حباً جماً.
ذلك الصباح، بدت والدة كريسيدا مسرورة وهي تنظر الى ابنتها.

« متى تحزمين أمتعتك؟ ليتني أساعدك.»
قاطعتها كريسيدا بسرعة:
« كلا، أشكرك، أمي، اود حزم امتعتي بنفسي.»
قالت السيدة راي، إذ خاب أملها:
« أجيد حزم الامتعة.»
ترددت كريسيدا، وأمسكت بذراع والدتها بحرارة.
« انت تحسنين معاملتي. يمكنك حزم حقائبي لو أردت.»
« لا، لن افعل ما لم ترضي انت، حبيبتي.»
وجرى خلاف بسيط بين كريسيدا ووالدتها، انتهى باستسلام كريسيدا وانتصار والدتها.
« أعتقد انك متشوقة لحزم حقائبي. لديك متسع من الوقت، من الآن حتى السبت المقبل ... يمكنك القيام بكل ذلك.»
سألت السيدة راي بابتسامة:« هل سام قادم الليلة؟»
« نعم، سنخرج للعشاء. أخبرتك صباحاً، أمي.»
« أسفة حبيبتي. قد نسيت.»
جلست فريدا بالقرب من ابنتها معانقة إياها. فأحست كريسيدا بعاطفة والدتها النبيلة، وبدأت تمسح خدها بكتف والدتها.
« والدتي العجوز! مثل هذه المناسبة تعني لك الكثير؟!»
« بالطبع، فكل الامهات تنتظرن هذا اليوم السعيد. ستكونين عروساً جميلة، أعرف ذلك . الكل يوافقني الرأي.»

« أمر غير اعتيادي. أليس كذلك؟»

« سام يحبك جداً .»

« وانا أحب سام، أمي.»

« آه، سام. يا له من شاب مهذب. أتمنى لكما السعادة من كل قلبي.» أجابت السيدة راي بذلك وهي تشعر بإثارة غريبة تجتاحها:« لم ادري ان هذه اللحظة ستأتي بسرعة. لكن إحساس والدك لم يخب، كان يشبهك حين كان في نفس عمرك ومتطلب جداً. حياته كانت بعيدة عن لهو وطيش، حتى التقاني في مؤتمر عقد في فيينا .. كانت عيناه الزرقاوان جميلتين ومشرقتين كشعاع ينفذ الى صميم القلب. رائع جداً في حبه وفي نمط عيشه. انت تشبهينه الى حد كبير كريسي.»

فجأة، لم يعد بمقدور كريسيدا احتمال عاطفة والدتها الودود فقامت بسرعة ووضعت ثوبها في الخزانة ثم اغلقتها.

هتفت كريسيدا بأنفاس متقطعة:« خبأته في الخزانة كي لا تضعيه سهواً في الحقيبة.»

أشعلت السيدة راي سيجارة ثم تلفتت حولها. كانت الغرفة الوحيدة التي لم ترتبها وفق ذوقها الخاص لأن ابنتها لها آراء خاصة بها تتعلق بالديكور وما شابه، فرأي فريدا الام مختلف تماماً عن رأي ابنتها. إذ فريدا تهوى الزخرفة بلونيها الزرق والزهري الى جانب تحف مذهبة وبلور فاخر من صنع فيينا. غرفة كريسيدا عكست ذوقها السويدي الطابع بحداثته

وتطوره. أرض الغرفة فرشت بسجادة لونها بني فاتح وطليت الجدران باللون الابيض وعلقت على النافذة ستائر رسم عليها خيول جميلة الشكل.

أما أثاث الغرفة، فمصنوع من الخشب. وقد وضع الى جانب السرير على طاولة صغيرة، قنديل ابيض يعكس أشعة وهاجة في الغرفة. في أعلى السرير، رف خشبي، وضعت عليه كتب مختلفة لكتاب مشهورين مثل، جون بول ستارتس، ايريس ماردوش. على طاولة الزينة الخاصة بها، صورتان متوسطتا الحجم، الأولى لـ سيمون والاخرى لوالديها وكلا الصورتين تخللهما زخارف منمقة كانت تروق لـ كريسيدا التي لم تعد تحبذها بعد ان عادت من روما. والدتها تعلم حقاً ان ابنتها يمكن الاعتماد عليها وانها أخيراً ستحظى بمن تحب على الرغم من تكتمها فيما يتعلق بأمورها العاطفية. الدكتور راي طمأن زوجته الى ان ابنته قد تصل الى مبتغاها لأنها تشبهه في تصرفاتها الى حد كبير.

فكرت فريدا، الام الحنون التي أحبت زوجها حباً فوق العادة. « انها تشبهه بشعرها الاشقر المتدلي على خديها. العينان لوزيتان خضراوتان تعلوهما أهداب سوداء طويلة، أما شفتاها تفتحتا عن ابتسامة مشرقة اختلطت بحزن عميق.»

فرح الاهل حين استلمت وظيفة في بيت ارستقراطي راقٍ يعود للسيدة لورين التي تربطها أواصر صداقة متينة بوالدي كريسيدا. وتعيش لورين في قصر فخم

في حي من أحياء روما المدينة العريقة وتنتمي الى عائلة مرموقة تلقّب بـ « ديل فاريس» الوظيفة كانت بالنسبة لها سلوى وابتعاد عن مشاكل تعانيها في المنزل، على أثر تقاعد والدها ومرضه. كانت خير معين لوالدتها المسكينة في أمور المنزل، لاسيما ان أخاها كان يتردد الى المنزل في فترات متقطعة وخلال الاعياد.

درست اللغة الانكليزية لفترة وجيزة واتقنتها وها هي اليوم تدرّس ابنتي لورين اللطيفتين وتتمتع بأوقات مسلية بوجودها معهما.

عادت كريسيدا في عطلة العيد. ولم يعرف والدها سبب عودتها من روما، إذ قررت حينها البقاء للعمل في إيطاليا لمدة سنة. تفاجأت والدتها غير انها شعرت بسعادة عارمة لوجود ابنتها بجانبها. أما والدها فأيقن خفية حين لاحظ انها تبدلت من فتاة صغيرة عابثة الى أخرى مضطربة ومتوترة لا يحلو لها شيء.

وجرى تبادل آراء بين والدها ووالدتها . اقترحت فريدا ان التغيّر المفاجيء الحاصل لابنتها ليس بالامر المشين، فهي لم تعد بنظرها تلك الفتاة المراهقة وأصبحت أكثر جدية.

عادات كريسيدا تبدّلت كلياً، فبعد ان كانت تأنس لسماع الموسيقى الكلاسيكية وتستمتع برسم لوحات تعبيرية من وقت الى آخر، صار همّها الوحيد التلهّي مع أخيها سيمون بالاستماع الى الموسيقى الـ « بوب» التي لم تكن تحلو لوالدها.

وأخيراً برز على الساحة سام بول فاغتبطت والدتها فريدا وتألقت بشراً وحبوراً.

التقت كريسيدا بالشاب المناسب الذي هام بها من النظرة الاولى.

***

كان يوماً من ايام الصيف الحار جداً، حين شرعت فريدا بجمع بعض العلب والاوراق وأشياء أخرى مبعثرة على جوانب سرير كريسيدا، كانت تنظف غرفتها، وهي غارقة بتفكيرها عن يوم زفاف ابنتها ... ذلك اليوم الموعود.

رن جرس الهاتف حين كانت كريسيدا تهم بالدخول الى قاعة الجلوس حيث أشرقت شمس حزيران (يونيو) الحارة من خلال بلّور نافذة طويلة. أحست بجمال الحياة من جديد وان الايام المقبلة ستكون مشرقة مثل نور الشمس.

بعد مضي خمس سنوات، تفتح الورد الاحمر في حديقة المنزل وعاد الطير ينقد حبات الكرز الناضجة من شجرة مستقيمة عالية.ورأت والدتها في أبعد مكان من الحديقة تحاول قطف بعض ثمرات غرستها بيدها بحيوية. اما والدها فقد جلس على العشب لتشذيب حواض البنفسج.

نظرت الى الافق البعيد، فلاح طيف منزلهم القديم بكل ما حوى من ذكريات الطفولة الجميلة. استطاعت ان ترى الشاطىء ببحره الازرق الممتد من مكانها ... كانت شاردة الذهن وسرحت بأفكارها الى مكان

بعيد، تذكرت روما بكل عظمتها من أعمدة ضخمة منحوتة ومزخرفة وأقواس النصر الحجرية بألوان مختلفة من زهري الى أخضر فأبيض ومن كل الالوان، وهناك أجراف ملئت ماءً يفور ويهدر بغزارة تحت أشعة الشمس الساطعة. قادها الحنين الأليم الى تلك الذكريات الغالية، فتخيلت نفسها في روما من جديد تختال في أحيائها مع حب أمسى سراباً.

إنها ذكرى لمجرد الذكرى. الماضي برمته قد أصبح في غياهب النسيان. دومينيك بالنسبة اليها ذكرى جميلة فحسب. اليوم تعيش حباً آخر ذا نكهة مميزة. باصرارها وعزيمتها التي لا تعرف الرضوخ تمكنت من طي صفحة الماضي وحاولت النسيان.

رن جرس الهاتف لمرة ثانية. أجابت فإذا بـ سام على الخط الآخر. مرت لحظات تخللها عبارات مرح وهزل كما يهواها هو.

« كم من مرة قلت فيها ان لا زواج من دون مال؟!»

أجابها:« إذن،انت قد اخترت شاباً فقيراً ، آنستي.»

« أعرف من خلال حديثك أنك لا تملك حتى قرشاً واحداً؟»

« كلا، اني أكاد أعلن إفلاسي.»

« نلتقي الليلة، واعيد لك خاتمي، ونسوي المسألة.»

« لو تدرين كم انا مشتاق لرؤيتك هذه اللحظة!»

« انت حبي ... حبي الوحيد.»

« وانت مميزة بالنسبة لي.»

« ما الذي تراه مميزاً؟» اجابته مبتهجة .

« الآن ليس بوسعي التحدث في أمر كهذا، غير اني أؤكد لك انك ستصبحين زوجة للسيد ريشارد سمويل بول، خلال ايام معدودة. ارجو ان تتذكري جيداً ما اقول.»

رددت اسمه كاملاً للحظة ثم اضافت قائلة:

« شيء جميل، أمن اجل هذا اتصلت بي من المكتب؟»

« المكان خال من الموظفين. يتناولون الشاي في صالة الاستراحة. اتيت لتوي من عمل انجزته في منسينغ لان، والآن إني وحيد هنا... ليتك معي .»

« كيف يبدو لك السوق اليوم؟»

« هل انت جادة بسؤالك لي؟»

« انا اهتم لأمرك، سام، وأوشك ان اصبح زوجتك. اعلم انك مدمن على عملك.»

« حبيبتي، انا احبك. إنك رائعة جداً. وان كنت تريدين ان تعرفي، فالجو مشحون جداً بسبب السياسة المحلية عندنا والحرب القائمة ضد فيتنام، والاموال غير متوفرة،وحسب العم ريشارد، سنواجه مستقبلاً مليئاً بمشاكل مادية لا تعد ولا تحصى ما لم نتدارك الوضع. بأي حال، أشكرك لسؤالك كريسيدا وماذا بعد؟»

بادرته قائلة:« عما تتحدث، سام؟»

« علي ان اقفل الآن. أراك لاحقاً.»

بعد ان انقطع الاتصال، علمت بذكائها المتوقد ان العم ريشارد قد دخل المكتب، وهو بطبعه الصارم الجاد، لا يحب اضاعة الوقت اثناء فترة العمل بأمور سخيفة.

الفصل الثالث

وقفت كريسيدا للحظة تقلب بخاتمها الماسي المزين بجيبات زمرّد صغيرة، وخافت ان يترك الخاتم أثر هالة سوداء حول إصبعها. في الاسبوع التالي ستتزوج وتسافر في رحلة شهر عسل الى ماجوركا مع زوجها المرتقب السيد بول. وبعد رجوعها، تسكن معه في منزلها في كوفولد.

إن قرية كوفولد التي لا تبعد سوى اثنتي عشر ميلاً عن بريغتون مكان سكن العائلة، قد تلائمها، فبذلك تكون على مقربة من والديها وأخيها سيمون الذي يحتاجون اليها.

سيمون، شقيق كريسيدا مغرم جداً بالرياضة ومتحمس للعبة الـ روغبي رياضة سام المفضلة. ويعد سام مثله الاعلى وتربطهما صداقة وثيقة. فقد استقر رأي الزوجين الجديدين على العيش في غوفولد عوضا عن مدينة لندن ليبقوا على اتصال بأفراد العائلة. وجد الزوجان بيتاً صغيراً جميل الشكل من الخارج، طلي باللون الابيض الناصع وفقاً لذوق كريسيدا. وبمساعدة العم ريشارد استطاعا ترتيب المنزل وشراء أثاث فخم بتكاليف باهظة. أما وسيلة التدفئة المنزلية فقد تم تأخيرها الى وقت لاحق. كان رأيهما الاهتمام بكامل أجزاء المنزل منذ البداية بدل التأجيل والمماطلة.

جمع بين الزوجين الحبيبين وفاقٌ تجلى في أشياء كثيرة مختلفة منها حب الحياة القروية، الحدائق والتحف القديمة. فقد ارتادوا مخازن بيع تحف قديمة في انحاء كثيرة من البلاد. والى اهتمامات كهذه، اجتمعا على هوايات ثلاث هي الطعام الفاخر، رياضة الشتاء والرقص الكلاسيكي.

اول لقاء تمّ بينه وبينها كان اثر عودته من عطلة أمضاها في سويسرا للتزلج. بدا فاتناً وجذاباً حين أطل عليها ببشرة برونزية مشرقة أضاءت وجودها.

تذكرت يوم تعرفت اليه خلال حفل أقيم في منزل إحدى صديقات الدراسة المتزوجة من موظف يعمل في البورصة. صديقتها المدعوة بيتي شالمر هي من عرفتهما الى بعضهما، إذ أسرّت الى كريسيدا بأشياء تعرفها عنه.

قالت لها هامسة:

« يتمتع بالاخلاق الحسنة لكنه ليس مدعياً مثل بقية الشبان . يتحلى بخصال حميدة، فهو رجل بكل معنى الكلمة وتتمناه كل فتاة. يهاب النساء وكيدهن، لذا لا يحاول التقرب منهن كثيراً. حذر وجدي مثل زوجي جيف بالطبع!»

لم تكن كريسيدا تحتاج الى مثل تلك الملاحظة. فقد عرفت ساعة وقع نظرها عليه، انه اعجب بها.

علمت من خلال حديثه وتصرفه انه مختلف وكلاسيكي الطبع، قبل ان يخطو خطوة يفكر في ما ستؤول اليه الامور.

وعلى إثر حوار جرى ما بين الاثنين تبين ان للاحترام أهمية كبرى في بناء اي علاقة زوجيةتربط بين اثنين.

لكن هل يبقى يحترمها فيما لو عرف عن علاقتها السابقة بدومينيك؟ هناك العديد من الشبان الذين تزوجوا بفتيات كنّ في السابق على علاقة وثيقة بمن يحبون وهم اليوم يعيشون حياة هنيئة هادئة.

بقيت في حوار مع نفسها لدقائق لا تعد، وتوجست خيفةً من إفشاء الخبر. لكن في النهاية اعتبرت ان الماضي بكل ما فيه قد اصبح مجرد ذكرى لا اكثر. أما الحاضر والمستقبل فهما رهن بمن تحب، والايام المقبلة خير شاهد على قرارها. سأكون زوجة مخلصة لـ سام لمدى الحياة.

طلبها للزواج لاكثر من مرة، لكنها أصرّت على رأيها بعدم القبول لسبب بسيط ألا وهو فتور العلاقة بينها وبينه.

لكن ذلك الشاب الوسيم، الاشقر، الطويل القامة، لم تهن له عزيمة ... بقي متابعاً أخبارها ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم، ينهال عليها بباقات من الازهار والرسائل والمكالمات الهاتفية. استمر في رسم خطته، وكان يغدق عليها الهدايا الثمينة بكرم لا مثيل له.

ابتدأت تكون فكرة مختلفة عن سام الذي لايمت بصلة الى دومينيك من حيث شخصه وتعامله. فهو لا يشبه دومينيك بأي شكل. مع دومينيك كان عليها

ان تقدم تضحيات جلّى وهي المبادرة في لعبة الحب لكن هنا على سام يترتب القيام بالمبادرة. أيقنت حينها أنه يحبها أكثر مما تحبه وهذا أفضل.

ارتبط سام بـ كريسيدا منذ شهر مضى، وقامت علاقة مبنية على أسس متينة بين الاثنين. فهو يحنو عليها ويرعاها كطفل صغير وهي بالتالي تبادله الحب والاحترام.

في ليلة من ليالي الصيف، ذهب معها الى بيت والدته حيث كان ينتظرهما عشاء دسم في هامبشير حيث تم التعارف بينها وبين أمه التي تزوجت للمرة الثانية من السيد غراي ويعيش الاثنان في منزل ضخم قديم وفي أعلى المنزل هناك غرفة صغيرة خصصت لسام.

كانت قد تعرفت الى والدته في اول لقاء لها في الاسبوع الماضي فلم تعجبها كونها محنّكة جداً وتعالج الامور بدبلوماسية. وهي تشبه سام من حيث ملامحها وبشرتها البيضاء.

لابد ان سام ورث طول قامته الممشوقة عن والده.

علمت كريسيدا على الفور ان صفات سام ليست على الاطلاق كصفات والدته، فوالده مارتن بول رجل جذاب، في حين انها هي التي تعرف في محيطها بـ فراني، يحترمها من يتعرف اليها لكنها ليست بسيدة سهلة ومرنة كما تبدو ويصعب التعامل معها.

إن مسألة زواج ابنها سام من كريسيدا لم تعجبها، إذ كانت تسعى له بالزواج من فتاة ثرية تدعى ديانا

مارشال وتنتمي الى عائلة كريمة. والدة سام، فراني تألمت كثيراً إذ وجدته مرتبطاً بـ كريسيدا، ولم تقبل بلقائها والتعرف اليها إلا بعد الحاح من ابنها سام.

أعجبت كريسيدا بالمنزل الجميل، الذي احتوى أثاثاً قديماً ورسومات ضخمة، فهي التي لم تنخرط في مجتمع مخملي في يوم من الايام، دهشت إذ رأت ما رأت. لكن فضلت ذوق سام البسيط على ذوق أمّه الكثير التعقيد. فهي تحب المال والمظاهر الارستقراطية لذا تزوجت من رجل يكبرها بعشرين عام. فزوجها السيد غاي إنسان لطيف على الرغم من كبر سنه وهو يلبي أوامرها بكل طيبة خاطر ويدفع فواتيرهاالتي لا تنتهي.

يا لها من امرأة مغرورة بهرتها الحياة بكل ما فيها من مباهج وملذات. انها لا تشبه أمي التي تقضي وقتها في المطبخ تحضّر الوجبات الساخنة.

انها متسلطة تنهر من حولها ولا تحترمهم، حتى سام قد اشترطت عليه ان يطلق عليها لقب فراني بدل لقب أمي، حباً بإخفاء سنين من عمرها. أحست بخيبة الامل الكبيرة التي يعانيها ولدها جراء ذلك.

فقد قالت لها بوقاحة:

«فتيات كثيرات تتمنين الزواج بسام اكثر منك جمالاً وثراء.» ثم ضحكت بأعلى صوتها. وهي تتابع:

« لديه صديقات أكاد لا اعرف معظمهن، أحبهن

الى قلبي، ديانا العزيزة. عليك بلقائها ذات يوم.»

تطلعت كريسيدا بسام والغيظ يتآكلها.

« لماذا تبالغين أمي؟! ما تقولينه غير صحيح.»

« ديانا عزيزتي ... ألا تعرفها أليست هي بصديقتك؟!»

ثم نظرت الى كريسيدا، منتظرة جواباً.

«فلنتكلم عن شيء آخر. »أجاب سام بذلك وهو يشعر بالغضب، وهمس في اذن كريسيدا بضع كلمات تطمئنها، وهو يمسك بيده سيجاراً قدّمه له زوج أمّه بعد انتهاء العشاء.

ورغم اطمئنانها من ناحية سام وحبه لها، إلا انها لم تحس براحة وانسجام أثناء الحديث، وبدت متوترة بعض الشيء ثم قالت:« هل ديانا صديقتك حقاً؟»

« كلا، لا تنشغلي بحديث سخيف مرّ سهواً.» ثم أمسك يدها بحنان وقبلها.

في قرارة نفسها، قررت أخذ الموقف بتروي وصبر.

وفي طريقهم الى المنزل، تطرأت كريسيدا الى ما أشارت اليه والدته، وصرحت بأنها لم تعجبها البتة.

اعتذر سام بشأن ما حصل، وبرر ما قالته بأنه غير صحيح. وتابع:« لكن والدي يقول انك أجمل الجميلات حتى من دون تبرج. لا تأبهي لما تقوله فراني. انها غريبة الاطوار.»

أقفلت كريسيدا موضوع النقاش الدائر بينهما على الرغم من اقناعها ان فراني على خطأ.

وزيارة إثر زيارة الى ذلك البيت، تكشفت لها

www.elromancia.com

امور كثيرة، منها ان والدة سام، قد وقفت موقفاً معادياً لزوجها بسبب انتقال ميراثه الى ابنه. عرفت آنذاك ان المال قد افسد العلاقة بين والديه.

رويداً، رويداً، بدأ سام يشعر بحاجته الى خطيبته. ذات ليلة حين كانت عائلة سام مجتمعة حول عشاء فاخر، شعرت ان حباً جديداً يطرق باب قلبها. فقد ملك عليها وجدانها وحياتها وساد جو ودٍ وحنان تلك الليلة فبدت كريسيدا منشرحة الاسارير، دافئة وناعمة والكل في حالة مرح.

من جديد، أمسك بيدها يقبلها ثم قال:« أنت غالية على قلبي وأحبك، ومغرم بك الى حد الجنون. والجميع ينتظر الحدث السعيد.»

وفي طريق عودتهم، اوقف السيارة في مكان ما بعيد عن قارعة الطريق، ضمها اليه بحنان قائلاً:«متى ستعطيني جوابك النهائي بشأن موضوعنا. اني احبك وأشتاق دوماً اليك حبيبتي. متى ستقولين نعم؟! نحن نعرف بعضنا منذ اربعة أشهر، وحتى الآن لم نقم بخطوة. اريدك.»

قالت في نفسها، كل تلك الوحدة والمرارة التي مررت بها إثر قدومي من روما، الآن تلاشت، افقت الآن من كابوس. اريداليوم ان احيا حياة مختلفة، ان احب وأحب. لا مرارة بعد اليوم.

غمرته بعاطفة قوية، وأمسكت وجهه بيديها وهي تقول:

« سام، انت رائع حقاً ... وأفضل ما عندي.»

« حبيبتي، لم البكاء. هل أغضبتك في شيء أم ماذا؟»

تنهدت باكية وأحست انها وصلت بر الامان والسلام وما شعرت به هو الامان الذي يعني لها كثيراً.

« أبكي لأني تحققت من أني أحببتك أخيراً.»

« أتحبينني؟ أرى انك بدلت رأيك؟»

« نعم. احبك وأريد الزواج منك.»

« يا للعجب.» وللحظة شعرت بقلبها يخفق. شبح الماضي قد ولى الى ما لا نهاية، وإحساس غريب يقربها من سام.

اقتربت منه أسرت ما في قلبها من حب:

« لما اخترتني من بين الاخريات. لا أدري ان كنت الفتاة المناسبة لك. لكن سأعوضك عن كل شيء وأبقى الى جانبك لمدى العمر.»

«ملكت كياني وأعشق كل ما فيك.»

« انتبه، لا تعشق فتاة غيري وإلا ندمت.»

« لا تتفوهي بمثل هذا الكلام. أحياناً يتبادر الى ذهني انك مفرطة في تخيلاتك ولا تثقين بأي رجل.»

وضعت رأسها على كتفه ثم اغمضت عينيها.

« لن تراودني مشاعر كهذه ثانية ، انت اعدت ثقتي بنفسي وأثق بك كلياً.»

«خبر مفرح للغاية.» أجاب بفرح كبير:

www.elromancia.com

« هذه اللحظة انتظرتها منذ زمن وظننت اني لن أحظى بها ابداً. كريس اعدك بأني سأجعل منك أسعد فتاة في العالم ولن اخطىء معك بشيء.»

« عليّ ان اكتشف ذلك بنفسي.»

« تعلمين ان ما اقوله ليس بصحيح. فأنا شاب عادي جداً وأنت شابة فوق العادة.»

« انت مثالي جداً. أرجو ان لا تسيء تفسير الامور.»

أجابها مقاطعاً:« لا اريدك ان تخبريني بشيء باستثناء حبك لي، فأنا أعرف ان احدهم قد اساء اليك من خلال علاقة في الماضي، لكن عليك نسيانها. سأثبت لك ان حبي لن يؤذيك. ستكونين حبي الوحيد للابد.»

« لا اظن انك ستخذلني في يوم من الايام. فقد تأكدت من هذا الامر الليلة، واعتقد اني أحببتك منذ دهر.»

« علينا ان لا نهدر المزيد من الوقت وتتزوج في شهر حزيران . لا مزيد من الانتظار، ارجوك.»

حينها ايقنت ان بجانبها رجل يحبها ويحميها. وافقت على اقتراحه واستدارت اليه وقبلته ثانية.

همست في أذنه:

« اوافقك الرأي في اي عمل تقوم به. وارتجفت شفتاها من شدة التأثر وبكت.

انها ليلة مؤثرة حقاً، فقد أخذ سام خاتماً من جيبه ووضعه في اصبعها، كان خاتماً ماسياً مزيناً

بحبيبات زمرّد لامعة، قدمته له والدته، ليقدمه بدوره الى عروس المستقبل.

كانت ليلةلا تنسى، بكل ما فيها من حب وأشواق، القمر قي سمائها شهد قصة حب رائعة واثنين هائمين لا يفرق بينهما الزمن.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

قام سام بكل ما عليه من جهد لتسوية امرالزواج وتحديد يوم الزفاف في نهاية شهر حزيران (يونيو). احس بغبطة كبرى اذ سارت الامور بالشكل المنتظر. وافق والدا سام على زواجه من كريسيدا، فأطلق عليه والده لقب «العاشق الكبير» وبنظرها، بدا والد سام كرياضي نمساوي بقامته الهائلة، وشعره الاشقر وعينيه الزرقاوين الواسعتين نمساوي الاصل او انكليزي، الامر سيان بالنسبة اليها. ما يهم ان الحظ قد جمع بينها وبين حبيبها الذي انساها شجون حبها الاول.

بقي عليها الآن ان تستجمع كل قواها للتغلب على حب قد اساء اليها مرةً. البرق الذي لمع غاضباً في لياليها الماضية سوف ينقلب ليستحيل شمساً دافئة تبلسم جراحها الثخينة.

اصابها ذهول لما حل بها على يد دومينك. فقد فتّت قلبهاوجرحها ومن ثم عاد سام فجمعها.

انه مثال الشاب المتفهم القوي الذي يتحلى بصبرٍ لا يعرف فتوراً.

من حين الى حين، يتخيل انها ليست مشرقة كعادتها، وهذا يعود الى مزاجها الاسود الذي يأسر كيانها فتبقى وحيدة لا تنبس ببنت شفة. يتبادر اليه احياناً ان يسألها عن السبب غير انه يتردد مفضلاً التحفظ

عن الغوص في مسألة شخصية تود التكتم بشأنها. ذات امسية، وفيما كانا يتحدثان، فكر في مصارحتها بما يحس به. لاحظ ان في حياتها شجن ناتج عن تجربة مريرة مرت بها، وانَ هناك رجلاً آخر في حياتها، كانت تحبه بإخلاص وغير قادرة على نسيانه. لاذت هي بصمت مطبق، وكتمت السر في صدرها. وحيث انه احبّها بحقّ لم يثر الموضوع بتاتاً فيما بعد كي لا يعكر صفو هنائها.

تعرف كريسيدا جيداً ان سام شاب ميسور، وحالته المادية على احسن حال. لكن، لاكثر من مرة رددت،انها على عكس والدته، ليست مادية على الاطلاق، ولا يهمها المال. حتى انها حين همّ باختيار هدية يقدمها لها،فضلت كوباً بلورياً قديماً صنع في الصين بدل عقد ماسي.

اعجابها به تعدى ما يجنيه من مال وفير، فهو الملم بأمور البورصة وما يتبعها، لكنه بدا لها هاوٍ للرياضة ومشغفاً بها ولا يعير اهتماماً للمادة بجميع اشكالها.

من المستحسن ان يقوم ببعض الرحلات وكريسيدا الى جانبه لينعما بأوقات حلوة هادئة. ضحك هازئاً اذ سمع والدته تنتقده بشأن خطيبته التي لا تملك سوى ثوبها. وتمنت بصوت عالٍ كما في قرارة نفسها ان يتزوج ديانا الثرية التي تغنيه عن مشقة العمل وعذاباته. الا ان حبه لها ولوالدتها النمساوية ووالدها الطبيب الماهر قد فاق كل وصف.

ارادت والدة سام ان يقام الزفاف في لندن، حيث تقوم باستقبال ضيوفها وسط هالة من الابهة والفرح، لكن والدة كريسيدا رفضت ذلك وفضلت ان يعلن زواج ابنتها في بيت والدها.

وافقت كريسيدا وسام على ما ارتأت السيدة راي، كانا آخر ما فكرا فيه هو مسألة الاستقبال وما شابهها.

حفل الزواج تقرر في بيت العروس،وسيقتصر على بعض الاصدقاء من كلا الطرفين. الدكتور راي كان حزيناً وممتعضاً لانه لن يمشي برفقة ابنته ممسكاً بذراعها ليقدمها الى عريسها سام. لكن شقيقه، الطبيب الجراح الذي يسكن ستافورد شير سوف يحل محله ويقوم بما يلزم، ولحسن الحظ وافقت كريسيدا بفرح كبير لانها تحب عمها. سوف يكون من بين الحضور، العم ريشارد بول، بتي، جوفري شالمر واصدقاء سام.

كان حفل الزواج سيتم في الساعة الحادية عشرة والنصف في آخر يوم من (يوليو) تموز، وكان عليهم موافاة اهل العريس في كامب تاون حيث كانت فريدا على كامل استعداد، فقد جهزت عشاءً غير منتظر اذ وضعت طاولات بأغطية بيضاء وسط مرجة خضراء زرعت بأزهار وورود مختلفة الالوان وزين المكان بباقات الزنبق والفل فضلاً عن اشياء اخرى ملفتة. الى جانب وجبة الطعام الشهية، كان ينتظر قالب من

الحلوى زين باللونين الزهري والازرق وصنعت شموع طويلة عقدت بشرائط مخملية بيضاء، اضاءت كل جانب.

اما عن باقي تلك الحفلة، فابنة العم بيل، فيكي وصديقتها جوليا فقد استقر الرأي ان يقفا الى جانب العروس. تمتع سيمون شقيق كريسيدا بأوقات سعيدة مع تلك الفتاتين الرائعتين، وقد هدد بافراغ زجاجة الحبر على فستان اخته، ما لم يكفا عن مضايقته.

احبت كريسيدا اخاها سيمون كثيراً، وتمنت عليه ان يزورها من وقت لآخر خلال عطلته المدرسية كي تسمح لوالديها بالاستمتاع ببعض الهدوء خلال غيابه.

اختارت كريسيدا ثوبي مرافقتيها بنفسها. فقد اعجبها اللون الاخضر الذي اضفى على الثوبين جمالاً آخاذاً اضافة الى الياقة المكشوفة والاكمام الضيقة. هذا وقد طلبت كريسيدا من صديقتيها ان تحمل كل منهما باقةً من الزنبق الابيض ثم تضعان زهرة تزيّن شعرهما الاشقر.

اما باقة العروس، فقد اختارتها كريسيدا بأزهارٍ صفراء. لونها المفضل. اما والدة العروس فريدا فقد ارتدت فستاناً اصفر زاهٍ وقبعة صفراء زخرفت اطرافها بالاخضر، وفقاً لذوق ابنتها.

مرافق العريس كان صديق سام المقرب اليه، يدعى تيم ويلسون الذي اصيب بجراح اثر حادث سيارة،

ويشك في امر قدومه الى حفلة الزفاف. لكن سام انتظره.

نسيت كريسيدا وسط تلك الفرحة الكبيرة، الاستفسار عن تيم بواسطة الهاتف. عند السابعة والنصف من ذلك المساء، وصل سام بسيارته الى بريغتون . كان الطقس يوحي بالمطر الغزير فتجمعت غيوم سوداء في السماء وأمطرت بغزارة.

لبست كريسيدا فستاناً ازرق من الصوف فبدت في اجمل حُلتها. التقى بها امام المنزل. تبسمت معجبة بقامته الطويلة وحسن طلته فنسي سام المطر المنهمر ومشى اليها مهرولاً. جلسا في غرفة الاستقبال. امسك بيديها الاثنتين ناظراً اليها بحب كبير.

«تبدين جميلة جداً اليوم. تعجبني تسريحة شعرك.» بنظرة معبرة من عينيها الخضراوين، اجابت ضاحكة:

«قطرات مطر تنزل على وجهك الجميل وشعرك يلمع كغجري.»

«تعنين ان منظرنا مختلف عن الآخرين؟!»

«نعم.»

«جميل جداً. لا يمكنني الانتظار اكثر. حبيبتي، هناك ايام جميلة تنتظرنا.»

«هل احضرت معك تذاكر السفر؟»

افلت يدها واخرج تذكرتين من جيبه، نظرت اليه

بسعادة ولفت نظرها ربطة عنقه التي اختارتها له سابقاً وبدت متناسبة مع لباسه الرسمي. قال لها في ذلك الحين:«انت واحدة من فتياتٍ يعرفن انتقاء الاشياء المثيرة بذوق رفيع.»

«تفضلي، ها هما.» وناولها التذكرتين.

«بطاقتا سفر الى لندن وماجوركا. رحلة شيقة لم يحظ بها اي منهما من قبل. هناك في ماجوركا، حيث الشمس الدافئة بحرارتها الساطعة سينعمان بأيام حارة على الشاطىء الذهبي ويتجولان في حدائق تفوح شذىً في احد ارقى الفنادق. وستطول اقامتهما لاكثر من اربعة عشر يوماً.

شعرت كريسيدا بسعادة عارمة وهي تعيد له التذكرتين.

«يا لها من رحلة ممتعة. اكاد لا اصدق.» قالت ذلك بدهشة.

نظر اليها حالماً وقال:

«سوف تصدقين ما ان تصلي الى هناك!»

هزت رأسها بتعجب.

«لا، اشكرك سام بول، انت تبالغ.»

«حبيبتي، هل علي ان اردد ما قلته الآن. تبدين في اجمل حلة. تسريحتك الجميلة ورداؤك الازرق الصوفي واقراط فضية، يا لروعة جمالك! رائحتك تنعشني. ان اقتربت منك، لن استطيع تمالك نفسي.»

ضحكت بصوتٍ عالٍ.

www.elromancia.com

«انك محتال ولعوب.»

«لدي خبر هام لك.»

«هل تأجل حفل الزفاف؟»

«كلا، ان الحفل قائم في موعده، لكن تيم المسكين لن يكون مرافقي، فغداً تجري له عملية جراحية لالتهاب اصاب قدمه. كلمني هاتفياً معتذراً عن عدم تمكنه حضور الزفاف. انه يرسل لك تحياته وقبلاته.»

«آه، خاب أملي.» قالت كريسيدا بجدية:

« يا له من صبور مسكين! يعجبني بذكائه فهو سريع الخاطر وحاضر النكتة مثلك تماماً اضافة الى كونه لاعب كرة ماهر وتحبه ويحبك.»

كانت كريسيدا تقف مع سام امام نافذة تطل على الحديقة. كانا يتحادثان متشابكي الايدي والمطر يهطل بغزارة ويروي الورود المنتشرة في الحديقة. وشعرت كريسيدا بحزن عميق لما اصاب تيم.

«من سيصبح مرافقاً لك؟»

«كنت حائرا افكر.» اشعل سيجارة وصمت ثم قال :

«وجدت من يحل محله.»

قالت كريسيدا بغنج:

«قل لي.»

قال:« شاب صديق لي، منذ كنت في كامبريدج. طيب وكريم. قصته اسردها عليك لاحقا. انقذني يوم كنت مديناً لشخص بمال، كنت قد هدرت حينها مالاً كثيراً.»

«اعتقد انك مجنون.»

«كانت الاحوال يومذاك جيدة. لكل منا اخطاؤه، يا حلوتي.»

«افهمك.هل ساعدك بمبلغ كبير؟»

«لكان قد دعمني بشكل افضل لو لم اكن نقيضاً له في تصرفاتي.انا ودوم لم نكن نتفق على شيء، بعكس تيم الذي يشبهني. كان رساماً ماهراً اعجبت بلوحاته المميزة، كما كان يكن لي محبةً واحتراماً نظراً لتفوقي الجامعي.»

وساد صمت. نظر سام الى كريسيدا بعد ان افلتت يدها من يده وبدا متعجباً.

«ماذا دهاك، حبيبتي؟ لا اظن انك تصغين الي جيداً.»

لم تجب على سؤاله. خفق قلبها بقوة جزعاً وشعرت بعدم ارتياح. تركت مكانها، وجلست على كرسي صغير وشرعت تعبث بخشبة. ثم قالت:

«كنت اصغي لكل كلمة تقولها، ولكن...»

قبل ان تتابع كلامها، بدأ بسرد قصته.

«انا ودوم كنا صديقين حميمين. فيما بعد غادر سالوين قبل مغادرتي لها بسنة، قاصداً البرازيل حيث يعيش اهله. كان انكليزي الاصل من جانب امه. بعدها انفصلنا. اظن انه بعث الي ببطاقة من احد المرافىء حيث كان مسافراً. لديه مال وفير وبامكانه الحصول على اكثر مما لديه من لوحات يرسمها. انت تدركين مدى اهمية الرسم، كريسيدا.»

نظرت اليه نظرة شاردة الذهن، وارتجف صوتها من الارتباك.

«نعم ادرك.»

شرع يقول:«حبيبتي، تبدين مضطربة.»

«اخبرني، اكمل الحديث عن ذلك الرجل.» قالت ذلك وهي منقطعة الانفاس.

«حسناً، انه يدعى دومينيك ميلن. كلنا نناديه دوم. يا لها من صدفة كيف انه اختار هذه المناسبة ليأتي الى لندن. يقيم في نادٍ او في اي مكان آخر لا ادري. عرف عنواني من زوج والدتي واتصل بي مباشرة. طلب مني مساعدته للتنقل في المدينة لبعض الوقت، لكني اعتذرت قائلاً اني مرتبط بموعد مع خطيبتي.»

شعرت كريسيدا بحرارة جسدها ترتفع، اصابها ما يشبه الذهول. فدومينيك الآن في لندن. عاد الى ذاكرتها من جديد. يا للصدفة العجيبة دومينيك صديق لسام، وكانا في نفس الجامعة!

«ان الامور تسير على خير ما يرام.» تابع سام كلامه قائلاً وعيناه تبرقان سروراً. «وعدني ان يكون مرافقي ليلة زواجي السبت المقبل.»

نظرت كريسيدا الى سام ببطء،وظهر عليها الارتباك. قالت:

« اذاً،سيكون مرافقاً لك.»

اجابها:« نعم، لكن ستعجبين به، اعدك . ستنسجمان معاً.»

يا للهول، قالت كريسيدا تخاطب نفسها وهي تومىء برأسها.

وافقها سام الرأي، دون ان يدري ما قالت.

دخلت والدتها الى الغرفة، يتبعها زوجها الدكتور راي وانقطع الحديث.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

بينما كان سام وكريسيدا يتناولان طعام العشاء في احد المطاعم المطلة على البحر ويستمتعان بمذاق الكركند الاميركي، كانت كريسيدا تفكر بما ستؤول اليه الأمور. سام لا يعرف مدى علاقتها بـ دومينيك وهو صديق عزيز لخطيبها.

قال سام وهو يضحك:

«بالمناسبة، قابلت دومينيك عند الصباح وهو يرسل اليك تحياته، لكن... آه نسيت ان اخبره عن اسمك. لا عليك، سألقاه غداً، على موعد عشاء وسأخبره بالأمر.»

قررت ان تخبره بشأن علاقتها السابقة بدومينيك. فالمصارحة افضل حل. وعليها قدر الامكان ابعاده عن حفل زواجها. وجدت نفسها تغرق في بحر من المصاعب وعليها بالمزيد من الشرح.

قال:« عندما سمعت صوته سررت للغاية. مازلت اكن له الاحترام لانه ساعدني عندما كنت في محنة، والآن عليّ بعمل ما يتوجب كي اعبر له عن امتناني.»

لم تعلق كريسيدا على الموضوع. فشهيتها للطعام توقفت، على الرغم من حبها للمأكولات البحرية. الليلة عليها اما بالابتعاد والغاء الزواج او ان تقلق باله وتخبره بالحقيقة. لم تكن تريده ان يعلم قصتها

كي لا ينزعج. فمجرد ذكر اسم دومينيك امامها قد يولد صدمة لها.

كانت قد اقسمت انها لن تهتم إلا لسام وتتناسى دومينيك وتفكر به ساعة تشاء في السر. الا ان حبها لسام اصبح مجرداً من كل غاية، فهو الحبيب والصديق لكنها لا تقبل الخداع في علاقة تربطها به وعليها بإثارة الموضوع معه.

اصر سام على تجديد الصداقة مع دومينيك، واصرت هي على فسخ تلك الصداقة الاخوية بينهما كي تبعد هاجس ذلك الرسام الذي احبته وافسد عليها حياتها.

كان سام تلك الليلة يتفجر مرحاً وحيوية. بقي لساعات يتحدث عن العجوز دوم حسب ما لقبه. اخذ يتكلم عن صفاته وخصاله الحميدة، وهي صامتة، تنظر اليه لحظة ثم تنظر إلى الطعام امامها وتعبث به بالملعقة.

شعرت انها على وشك الانهيار. فخطيبها لم يسكت لثانية بل تابع التحدث عنه دون توقف.

«سأطلب منه ان يرسم وجهك، بعد عودتنا من شهر العسل.» قال سام ذلك مبتسماً وتابع:

«سأدعه يرسمك وانت مرتدية فستانك الاخضر السندسي تذكرين يوم زرنا فراني. ذلك الرداء الجميل ينعكس لونه على عينيك. نسيت وقتها ان اسر اليك ان والدتي اعجبتها عيناك وقالت انهما تشبهان عيني القطة، لكن طمأنتها انك لا تشبهين القطة بشيء.

لكنك في الواقع تشبهينها. انت قطتي التي احب.»
وضعت كريسيدا الشوكة والسكين على الطاولة امامهاوارتجفت يداها من شدة التأثر. احست بغثيان حين سمعت سام يتفوه بكلام مثل الذي كان يقوله دومينيك حين كانِ يتغزل بها.
قال سام ممازحاً:« ايتها القطة الصغيرة. قطتي الخضراء العينين.»
حقيقة سأجن ان استمر سام على مثل هذا النحو. قالت كريسيدا مخاطبة نفسها.
سام لم يكن يعلم ما يجري بالضبط. وتابع حديثه عن دوم يمدحه حيناً ويتغزل بعينيها الجميلتين حيناً آخر.
فكرت كريسيدا، الآن بات عليّ ان اقوم بعمل او قول شيء. لا يمكنني السكوت اكثر.
قام النادل بصب كوب من الماء المثلج لها. شربته دون ان تنظر في وجه سام ،قالت:
«حبيبي، لقد تحدثت عنه بما فيه الكفاية. هل لي بسرد اخباري عليك.»
«اني آسف، لا تقدرين كم يفرحني ان اعرف ان العجوز دوم قد ظهر في حياتي من جديد. يا لها من لحظة حاسمة.»
اغمضت عينيها وكادت تضحك بمرارة. لحظة جميلة.لكن لما يظهر دومينيك في هذه اللحظة بالذات بعد ان غياب طويلٍ. بدا الامر واضحاً، فالمسألة ان سام عاطفي جداً لا ينسى حسنة احدهم، فكيف

بصداقة عمر!؟ كيف سيلتقي الاثنان وكيف لي بلقياه بعد ان خذلني. بادلني حبّه وبعد اخلاصي له تركني اتألم وحيدة واختفى من حياتي دون ان يشعر بحنين لتلك الايام الماضية. انه لا يحترم المرأة، امقته. سوف يصاب سام بالذهول لو عرف القصة.
حاولت تناسي الماضي بكل آلامه لكنها بدت متنبهة للغاية.
وقالت معترفة:
«قد يفاجئك ما سأقوله لك. التقيت دوم العجوز في روما حين كنت مدرسة لغة.»
لمعت عينا سام فرحاً وقال:
«ليس بالامر الصحيح، اتمزحين؟!»
قالت بهدوء:
«التقينا في روما، وهو رسام مشهور.»
«نعم! انه امر شيق. حاولت ذكر اسمك اثناء مكالمتي معه، لكن الوقت لم يكن ملائماً و لاذ بالصمت وفضل مناقشة الموضوع في اليوم التالي.»
اطرقت كريس تفكر، ماذا عساه فكر حين علم اني العروس... ليته يعلم بمقدار حبي له.
«قولي لي كيف ومتى التقيت دوم؟هل هو رائع كما تتصورين؟»
«نعم، اظن ذلك.»
«اذاً تعرفين انه رسام متفوق؟»
«تعرفت اليه في منزل سيدة كنت مدرسة خاصة لابنتيها. ثم زرته في محترفه.»

«هل احترف الرسم؟ يبدو لي العكس.»
«والدته صديقة للسيدة لورين وقد طلبت منه رسم ابنتيها.»
«ظني انه لو كانت السيدة لورين شابة صغيرة لامضى معها بعض الاوقات الحلوة.»
انتفضت كريسيدا لتوها، وشعرت بدوار في رأسها. كانت ملمة تماماً بعبث الشبان وتصرفاتهم الصبيانية اثناء دراستهم الجامعية ودوم واحد من هؤلاء. واعتبرت انه على الارجح قد قام بمغامرة شبيهة في وقت من الاوقات.
سألها:«هل اثار اهتمامك من هذه الناحية؟»
اجابته:«كلا، لكن يبدو انه لعوب.»
«هل شاهدت احد اعماله؟»
«نعم.»
«ما رأيك؟»
«ارى ان رسوماته مميزة، ومن المؤسف ان يتوقف عن الرسم. عمله متقطع، احياناً يرسم برصانة، واحياناً كثيرة يلهو غير مكترث لاي شيء.»
«لكنه ليس بالعابث المستهتر.اعتبره احد المثقفين القلائل. اثناء دراسته في الجامعة كان يحضر المحاضرات على جميع المستويات الثقافية كالفلسفة وغيرها، واجتماعات اخرى. تعرفين...»
سرحت بخيالها بعيداً، كانت تفكر بكل تلك الاشياء التي يتحدث عنها سام وهي حزينة منكسرة.
في جعبة سام اخبار كثيرة تتعلق بزميله الجامعي،

غير انه احبّ معرفة اخباره عن طريق كريسيدا.
شعرت كريسيدا بضيق وحرج اذاك وقررت تغيير الحديث.
فقالت:«اخذت موعد مع الكهربائي في غوفلد. سيوافينا الى هناك يوم الجمعة لاضاءة المصابيح المعطلة في غرفة الجلوس.»
اجابها سام:«حسناً،سنوافيه الى هناك.» ثم التفت الى الصحن امامها فوجد انها لم تقبل على طعامها بشهية بل تناولت منه القليل.
«الم يعجبك الطعام، حبيبتي؟»
«بلى، لكني لست جائعة الليلة.»
«هل تتناولين الفاكهة ام قهوة؟»
«لا شيء سوى القهوة.»
«سأتناول عصيراً منعشاً.»
«حسناً.» اجابته مبتسمة كعادتها، تأملت وجهه ملياً، واطرقت تفكر كم هو جميل بتصرفه ولبق. تمنت لو ان دومينيك لم يظهر من جديد في حياتها، فقد كرهته وفي قرارة نفسها تشتاق اليه، اتى في الوقت المناسب كما قال سام وتدخله ليس في مصلحتها هذه المرة. لن تسامحه عن تخليه عنها حين كانت في امس الحاجة اليه.
بعد ان ارتشفت قهوتها طلبت من سام العودة بها الى المنزل. وفي طريق عودتهما، جرى حديث تطرق سام خلاله الى موضوع متعلق بدومينيك.
«سيندهش حتماً حين اذكر له اسم خطيبتي.»

www.elromancia.com

«بالطبع.» قالت كريسيدا ذلك وهي منقبضة قانطة.
بادرها قائلاً:« ليس هناك متسع من الوقت للقائكما مع بعض قبل حفل الزواج، لكن بالامكان دعوته الى العشاء ذات امسية.»
اجابت بسرعة:« لا تفعل سام.»
نظر سام اليها متعجباً وهو يقود سيارته بسرعة فائقة.
«لم، حبيبتي؟»
فكرت قليلاً ثم قالت:«اني منشغلة، لدي الكثير من العمل حتى يوم السبت القادم.سأساعد امي في حزم حقائبي، اتمنى رؤيته في يوم الزفاف.»
اجاب مسروراً:
«بالطبع حبيبتي.»
احست ان عليها اخبار سام بكل ما حدث بينها وبين دوم، فهو يحبها كثيراً ولا بد ان يسامحها على هفوة قامت بها بالماضي. لن تكون نهاية العالم فيما لو عرف ان علاقة ما كانت بينها وبينه في روما. لكن، ماذا سيحصل؟هل علاقتي بـ سام ستنتهي اثر ذلك؟ تعرف جيداً انه يحبها وثقته بها لا حدود لها. لكن هل ستدمر تلك الثقة ان هي باحت بالحقيقة الجارحة. اضطربت وبقيت مكتوفة اليدين حيال مشكلة لا تنتهي وقررت ان تخفي سرها كي لا تؤذيه.
قررت اخيراً ان لا تخبره بشيء وتدعه يفكر في

دومينيك حسب ما يشاء. فهي لن تقابل دومينيك الا ليلة زفافها قد يبدل رأيه ولا يأتي الى الحفلة وهذا افضل حل يمكن ان يحصل.
فجأة، احست برغبة بالاتصال بدومينيك قبل ان يلتقي بسام على الغداء. لا تعتقد كريسيدا ان دوم سيخذلها. على الرغم من علاقاته الكثيرة والمتعددة الا انه احبها بشغف لكن لم يصارحها بخصوص زواج او ما شابه لذا قررت الابتعاد عنه. حتما سيتفهم الموضوع جيداً.سوف تبحث عن عنوانه للالتقاء به دون معرفة سام. وشعرت انها تخون رجلاً احبها. عرفت انه عضو في نادي جامعة كامبريدج وفي جامعة اوكسفورد حيث يقيم لفترة قصيرة.
قال سام ببساطة:
«اتصلي به، لا بد انه متشوق لسماع صوتك.» عانقها بحرارة وقبلها من صميم قلبه وهي تذوب حباً في قبلة طويلة.
تحسرت للبؤس الذي ستخلفه ان صارحته بالحقيقة. لكن لا، مثل هذا الامر لن يحصل!؟
«حبيبتي، انت جميلة جداً.» وبكل قوة شدها اليه وضمها.دمعت عيناها املاً وبؤساً في آنٍ معاً.
«احبك سام.» قالت له ذلك بصوت مرتجف.
شعر ان امراً ما يزعجها لكنه اكتفى بحبها له ولم يسألها عن السبب.
صورة دومينيك لم تغب عن خيالها وظل القلق

يرافقها. لم يكن لديها اي فكرة عن كيفية التصرف في حالة كهذه.

استيقظت عند الصباح باكراً وحدقت تتصفح كتاباً بعينين تعبتين في انحاء غرفتها حيث تبعثرت الاشياء هنا وهناك. وقع نظرها على صورة فوتوغرافيه لسام بجانب السرير. علي ضوء النور القوي ظهرت ملامح وجهه جميلة جدا.فكرت قليلاً ثم قررت نهائياً ان لا تنبس ببنت شفة فيما يتعلق بالموضوع.

خرجت الى الحديقة وهي تشعر بدوار في رأسها. الامر اصبح لا يحتمل وعليها التخلي عن التفكير به.

مشت لحوالي ساعة من الوقت فوق الحشيش الاخضر المغطى بقطرات الندى وشعرت بانتعاش وتجدد وسعادة قصوى.

وعند الساعة السابعة قامت كريسيدا باحضار ابريق من الشاي الى غرفة والديها حيث كانت والدتها تنهض من فراشها فيما والدها مازال نائما .

سألتها والدتها:«ما الذي ايقظك في مثل هذه الساعة؟»

«لم استطع النوم جيداً.»

رمقتها فريدا بعين الرضى اذ كانت تبدو نحيلة رشيقة وجميلة بشعرها الطويل الذي غطى كتفيها.ورثت كريسيدا عينيها الخضراوين الرائعتين عن جدتها لامها الروسية الاصل وكذلك عن امها النمساوية. اما سيمون شقيق كريسيدا، فقد ورث ملامح

انكليزية عن جده بشعره الاشقر المحمر وانفه المنمش.

كادت امها تهم بسؤال كريسيدا عما دهاها لكنها احجمت في آخر لحظة مداراة لعواطف ابنتها التي اصبحت فتاة مختلفة بعد قدومها من روما.

جلست الام وابنتها لاحتساء الشاي وهما تتكلمان عن التحضيرات لحفل الزفاف وكذلك الفستان. ثم بعد ذلك عادت كريسيدا الى المطبخ لتحتسي فنجانا من القهوة وتفكر ملياً في ما يجب عمله.

اعتراها ما يشبه الخوف حين فكرت بدومينيك. من فرط رغبتها في رؤيته مجدداً وألمها الذي عانته في الماضي،احست ان الدنيا تدور بها وبما حولها. احبت اثنين حباً جنونياً. والآن هي لا تدري ماذا تفعل. قالت بصوت عال:« لا اريده بعد اليوم في حياتي.» ثم حركت قهوتها بغضب وجالت بنظرها في محتويات المطبخ.

شمس حزيران (يونيو) سطعت وبثت بهجة في كل ما كان في المطبخ من صور ومقتنيات باللونين الازرق والابيض.

على نافذة المطبخ ، وقف عصفور صغير لفت نظرها. منظر احبته منذ كانت صغيرة واعتادت عليه.

منذ خطوبتها احست ان حياتها كلها تغيرت. فقد وجدت شخصاً بجانبها يتوق لبناء بيت سعيد معها. قررت التشبث بسام لانه احبها بكل جوارحه.

ذهبت الى حيث وضع الهاتف في الصالة الواسعة، اقتربت وطلبت رقم هاتف دومينيك في النادي.

سمعت صوته، كأنه صدىً قد اتى من بعيد. حاولت التكلم بثقة وقوة.

«مرحباً.»

«مرحباً. من انت؟»

«انا كريسيدا، القطة الصغيرة.»

ارتجفت وهي تتمتم ذلك اللقب.

«نعم، اني كريسيدا.»

اجابها مذهولاً:« كيف عرفت عنواني ومكاني في النادي الجامعي؟»

«اكلمك من منزلي في بريتون وعلمت بوجودك هنا من سام. »

«لا تقولي، سام بول؟»

«انه هو بالذات، نحن على وشك الزواج، ويوم السبت هو موعد الزفاف.»

ساد صمت مرير عقبه عتاب.

«اذاً انت عروس سام، وانا من سيصبح مرافقاً له.»

هتفت قائلة:

«تماماً، وانا اتصل بك لاخبرك بأني لا احب ان تحضر حفل زواجنا.»

«انتظري للحظة، لا تغضبي.»

«لست غاضبة، لكن ارجوك لاتحضر حفل الزواج.»

«لم لا؟»

توردت وجنتاها خجلاً وقالت:

«اعرف انك حساس وتأخذ علاقتنا السابقة بعين الاعتبار.»

«اعرف ذلك حق المعرفة.»

«حقاً، دومينيك!»

«على الرغم من علاقتنا السابقة في روما، سام صديقي ومعرفتي به قد سبقت علاقتي بك.»

«ربما.»

«طلب مني سام الحلول مكان صديقه المريض، كيف علي التملص من ذلك؟»

«صحيح ما تقوله، غير اني لا زلت مصرة على عدم حضورك.»

«اسمعي عزيزتي. لا يمكننا مناقشة الموضوع على الهاتف. علينا مناقشته وجهاً لوجه.»

«كلا، لا اود لقاءك.»

«انت تعالجين الامر بمأساوية على ما اظن.»

«انت تبالغ، الا يمكنك الاحساس بما اشعر به؟»

«حبيبتي كريسيدا. ما حدث بيني وبينك قد ولى، واصبح من الماضي.»

«لا بد ان ما حصل كان مسألة لهو ومرح ليس الا، وليس حباً بالمعنى الحقيقي.»

«كريسيدا، دعيني اوضح لك الموقف. كنت حينها جباناً اذ لم انهي الموضوع مواجهة معك وقد كرهت نفسي لتصرفي الاناني والجبان. وانت الآن لديك نفس الشعور. احببتك واحببتني في الماضي وانتهى الامر.»

ودت لو انها تصرخ في وجهه، لكنها قالت بلهجة مضطربة.

www.elromancia.com

«ما فعلته لا يغتفر. لن اناقشك الآن، وكفى.»
«اني جداً آسف قطتي الصغيرة.» قالها بصوت مرتجف.
اجابت :« انتهى كل شيء بيننا. الآن سام هو كل شيء بالنسبة لي.»
«صحيح اوافقك الرأي، سام حياتك واكثر، لكنه صديقي ويريدني ان احضر حفل زفافه.»
«لكنك تستطيع الرفض.»
«بالطبع، لكن سام صديق عزيز علي وانت احسنت الاختيار بزواجك من سام.»
«اعرف ذلك.»
«الآن، بعد ان توضحت الامور ، وعرفت من هي عروس صديقي، اظن علي القيام بالواجب.»
«لا افهم تماما ما تقول.»
«حبيبتي، انت تبالغين في تقدير الامور وتتصورين اوهاماً.
اصابها ما يشبه الذهول وكادت توذي نفسها من انقباض في يديها. وتمنت صفعه لو كان بالقرب منها.
قالت:« لا ارى اننا على اتفاق في الرأي.»
اجابها:« لا بد انك تحبينه حباً لا مثيل له.»
«صحيح. اظن انه اروع رجل قابلته.»
«اذاً، لم انت تثيرين موضوعاً مفروغ البحث منه؟»
«انت لا تفهم ما اقول.» قالت ذلك وقد ألم بها تعب شديد.

«انا لست مثلك.»
لم تقو على التفوه بالمزيد.
باتت مترددة فيما ستفعله. يريدها ان تنسى الماضي الأليم بتجاربه المرة. وهو اليوم يشكل خطراً ويهدد مستقبلها. مسألة ليست بسهلة وهل بالامكان تسويتها، باتت في شك من أمرها.
قال حين طال صمتها:«هللو كريسيدا. الا زلت على الخط؟»
«نعم.»
«في الحقيقة،سعدت لسماع صوتك من جديد، إشتقت اليك واريد لقاءك للتحدث.»
احست بأن الحواجز التي بنتها لصده قد انهارت بالكامل بشكل لم تعهده من قبل وايقنت انه خدعها بمراوغته المعهودة. نسيت آلامها الماضية حيث عرفت خداعه وعدم اهتمامه بها.
سألها بود:« هل حقاً تكرهينني لما بدر مني؟»
راودها احساس ان تضع حداً لكل تلك المهزلة التي لم تعد تفيدها في شيء. قصتها معه اصبحت من الماضي وعليها بتدبر امرها والاجابة على اسئلته.
« لا اكرهك البتة. اشعر الآن بارتياح.»
شعرت بغصة مرة اذ قال متنهداً:
«قطتي الصغيرة، لم تتبدلي ابداً.»
«تبدلت بما فيه الكفاية، ليتك لا تلقبني بالقطة الصغيرة.»
«آسف، آنسة راي.»

www.elromancia.com

«انظر، فلنتصرف بحكمة. نحن كنا فقط اصدقاء في روما، وهذا ما اريدك ان تقوله لسام انت تعلم اني مقدمة على الزواج من سام.»

«ارى ان نبقى صديقين وهذا افضل حل. فسام صديقي وسأصبح مرافقه على ما يبدو.»

«افعل ما تراه مناسباً. لكن لا تجعل الامور تسوء بيني وبينه.»

«سأتصرف بلباقة.»

«اعرف ذلك.»

«اعتذر عن مناداتك بحبيبتي، فقد اعتدت ذلك حين كنا في روما.»

كان عليها ان تحتقره لما تسبب لها من شجون ومآسي، وهي التي لا زالت تحن الى ماضٍ ولى وتود التخلص منه بأي وسيلة. باتت تلوم نفسها على ما حصل، وفي الوقت نفسه تتمنى الارتماء بين ذراعيه. اختلطت عليها الامور وبات عليها التصرف بوعي وحكمة.

سألها باهتمام:

« هل تسير الامور على احسن حال؟ وهل انت بخير؟»

«اني بخير، اشكرك.» سكتت قليلاً ثم سألته:« علمت ان والدتك قد...»

قال بنعومة:«منذ شهرين توفيت والدتي، وغير نادم على بقائي معها كل تلك الفترة التي غبتها عنك.»

«آسفة حقا لما جرى لوالدتك.»

«بقيت في البرازيل لبعض الوقت ثم سافرت الى بلد آخر. واليوم قررت الانقطاع عن السفر ريثما انهي عملاً اقوم به لآلدو كونلتي. المخرج الايطالي المشهور الذي اجتمعت به في فلورنسا، لذا تعذر علي الرجوع الى روما حيث كنت منتظرة. وانا اعني ما اقول.

فقد اردت العودة اليك لكن ظروفي لم تسمح لي بذلك. ان صدقت كلامي ام لا، امر رهن بك لوحدك.»

تأثرت وامتقع لونها ثم ردت قائلة:«لن اعود الى روما مهما حصل. اكتفيت. لقد نسيت السيدة لورين والمجتمع الايطالي.»

«اجد انك ستنتظرين زياراتي المتلاحقة فور رجوعك من شهر العسل. سام سيجمعنا معاً يوماً ما في وقت قريب .اني اقيم في المدينة وعملي مع كونلتي سيستمر للموسم القادم. ولدي عمل آخر في ميلان وسأقوم برسم لوحات لمعبد تاسكو فيما بعد . وبعدئذ سأذهب في زيارة الى لندن .»

«انت تجيد ما تفعل. اقولها ولست ابالغ. انت رسام ماهر بالطبع وقد علمتني ما كنت اجهله من فنون، واني ممتنة لك.»

«كنت تلميذة نبيهة. اعترف بذلك . عزيزتي كريسيدا.»

حاولت قطع حديثه المزعج والتحدث عن سام.

«كنت محظوظة جداً، كوني قد تعرفت الى خطيبي. يا له من شخص رائع.»

«اوافقك الرأي، انه انسان رائع فعلاً. لكنك اذهلتني.»
«لماذا ؟»
«لطالما ذكرت انك تستائين من الشبان الرياضيين ويعجبك الفنان الماهر.»
اجابت ممتعضة: «تغيرت مع مرور الوقت.»
«آه، حسناً. يسرني اللقاء بك من جديد.»
« قبل ان اودعك، اردت فقط ان اشرح لك سبب اتصالي بك قبل ان تجتمع بسام اليوم وتقول له ما اتفقنا عليه. كما ارجو ان لا تذكر امامه اني تحدثت اليك. ولا يهمني بعد الآن، ان كنت ستحضر حفل زواجنا.»
«هل اقول له انك لم تعجبيني؟»
«كلا لم تفهم ما قصدت. سام لا يعلم شيئاً عن قصتنا.»
اجابها:« حبيبتي اسأت فهمي على ما اعتقد. لست سيئاً كما تتصورين. سأعلن اننا صديقان فقط.»
ودعته بعد ان شكرته بلطف.
قال لها:«الآن لا يسعني سوى التمني لك بحياة زوجية هانئة. ويتوجب علي الذهاب لشراء هدية الزفاف التي ارجو ان تقبليها مني. قولي لي، ماذا تريدين هدية؟»
اجابته:« لا اريد شيئاً، لا حاجة لك الى ذلك.»
وعلى الفور وضعت السماعة بغضب . غلبها تعب شديد عقب حديثها معه، وتمنت لو انها حافظت على هدوء اعصابها كما فعل هو.
آخر ما تمنته ان تراه في حفل زفافها واقفاً الى

جانب سام. بعد لحظات قصيرة، دخلت والدتها تحمل صينية في يدها. قالت :
«هل هو سام الذي كان يكلمك؟»
«كلا والدتي انه شخص آخر.» ثم خرجت مسرعة واختفت قبل ان تسألها والدتها مزيداً من الاسئلة المزعجة.

www.elromancia.com

الفصل السادس

كان سام متجهاً الى برايتون تلبية لدعوة عشاء.
انتظرت كريسيدا مكالمة هاتفية منه بفارغ الصبر.
عند الساعة الواحدة، احست بوعكة صحية لتذكرها ان الاثنين معاً، سام ودوم، يتناولان.
تمنت ان لا يفشي دومينيك سرهما. عند تمام الثانية والنصف رن جرس الهاتف فإذا بسام على الخط.
«كان غداءً رائعاً مع دوم العجوز تذكرنا خلاله ايامنا القديمة في سالوين . لم يتغير كعادته، وقال ان وزنك ازداد عن السابق.»
قالت كريسيدا منزعجة:«آه، نعم.»
وتابع سام بحماسه الدائم:
«حبيبتي، رائع جداً ان تكوني على معرفة جيدة بالصديق دوم.»
وتابع سام كلامه:«في الحقيقة، الصديق دوم يقدرك ويشيد بذكائك وانت بلا شك درّة نادرة كما قال!»
«اشكرك حبيبي.» وحاولت ان تخفي ارتباكها وانزعاجها من كثرة التكلم عن دومينيك، محاولة الظهور مرحة ومشرقة.
«سأراك غداً،سام؟»
«انت تحاولين التملص من رؤيتي. اربع وعشرون ساعة بعيداً عنك مزعجة كفاية. وثمان واربعون ساعة تجعلني، اكاد اجن.»

ضحكت ملياً واشرق وجهها من جديد. مع سام لا وجود للحزن.
اتفقا على الخروج لتناول الغداء في المدينة اليوم التالي. بعد ذلك ستنطلق الى لندن للتبضع اذ تحتاج الى لباس بحر جديد ونظارات شمس.
لم تعد الاشياء كما كانت قبل ان يظهر دومينيك في حياتها من جديد، فقد اصبح من الصعب محو ذكراه من مخيلتها.
بعد ظهر ذلك اليوم، تركتها والدتها ترعى شؤون والدها، لأنها ستخرج في موعد مع صديقة قديمة للتوجه الى هوف بهدف زيارة. كانت والدتها ترفض الخروج دائماً فهي تريد البقاء مع زوجها المريض.
لكن كريسيدا كانت تعترض قائلة:
«حين اغادر، ستبقين معه ما تشائين. اخرجي، رفهي عن نفسك في كل وقت يا امي. بعد الزواج لن اتركك لوحدك مع والدي وسيمون.»
قبلت فريدا ابنتها بحرارة:«انت فتاة لطيفة.»
ضحكت كريسيدا منقبضة وتذكرت ما مرت بها العائلة من آلام .
واخيراً ضحكت لنا الايام. سام هو السبب.
تغيرت كريسيدا يوم تعرفت على سام بعد ان عانت حالة اكتئاب حادة. والدة كريسيدا كانت فرحة وتستعد للزواج المرتقب. بعد الغداء، اصطحبت كريسيدا والدها الى الحديقة للتنزه.
نظر الدكتور راي الى ابنته الجالسة الى جانبه بحنان

www.elromancia.com

وغبطة من اعلى نظارتيه. سيفتقدها بعد مغادرتها المنزل غير انه سعيد لسعادتها.

سام بول فتىً طيب ويتمنى له السعادة مع ابنته كريسيدا.

سألها بحرارة:«هل انهيت استعداداتك ؟»

«نعم والدي، سأزور لندن غداً وبعد يومين آخرين اتزوج. هل تصدق ما يحصل معي.»

«بكل تأكيد.»اجابها جون راي بعد ان تنهد مضطرباً. ثم تابع:«حين يزوج الرجل ابنته يشعر بنفسه عجوزاً.»

«آه، والدي . سيبقى سيمون الى جانبك وكذلك امي في غيابي.»

«لا اثق بالفتيان مطلقاً، وبطبعي افضل الفتيات.»

قال جون راي ذلك ضاحكاً وهو يشعل غليونه.

«سأظل احبك يا ابي.»

«ارجو ان تستقر امورك في الحياة، عزيزتي.»

اجابت قلقة:«لم تقول ذلك؟»

«لا اعلم.» اغمض الدكتور راي عينيه للحظة ثم نفث من غليونه دخاناً غليظاً على شكل متقطع.

«اعتقد انك عانيت خلال فترة حياتك السابقة كثيراً، وذلك لانك لست منفتحة مثل امك واخيك، بل مثلي انا تحاولين التظاهر بما لست فيه.»

نظرت اليه بعاطفة. بدا عاجزاً كعجوز هرم، لكنه في الواقع لا زال شاباً في داخله، الا ان مرضه قد اضناه على الرغم من تطمينات الاطباء لهم. وبدأت كريسيدا

تتذكر حين كان والدها طبيباً دائب الحركة، منشغلاً طوال الوقت ومرتبطاً بعمله ليل نهار. والدها مثلها الاعلى، وهو مثلها يعاني وحدة قاتلة. تحسّ الآن بقربه احساساً لم تعرفه من قبل.

«انك على حق يا والدي، صحيح اني عانيت حتى وصلت الى ما انا عليه الآن، لكن تريثت قليلاً ولم اتزوج في سن مبكرة كصديقاتي المعذبات. وجدت اخيراً من استحقه ويستحقني . سام يستحق الانتظار. اليس كذلك؟»

«لكن، حبيبتي اعتقد ان قصة ما حدثت معك في روما، هل توافقينني الرأي؟»

سألها والدها ذلك بحنانٍ مما جعل قلبها ينبض بقوة ووجهها يتورد خجلاً.

« ما الذي جعلك تفكر على هذا النحو، والدي؟»

«احساس غريب جعلني اتنبه للأمر. لم اثر القصة بوجود والدتك، وجدت انك خضت تجربة مريرة اثر قصة حب فاشلة.»

عضت كريسيدا شفتها السفلى تأثراً واجابت:

«والدي العزيز. لطالما اخفيت ما تفكر به عن عائلتك.»

«انا اشبهك الى حد كبير، كريس. حاولت اثارة تلك المسألة قبل زواجك كي تنجلي الامور ولا تسبب لك الاحراج فيما بعد.»

« حسناً، اعترف بأنه كان هناك قصة حب عشتها وانتهت. والآن لم يعد هناك ما يكدرني، لا تقلق.»

www.elromancia.com

«لست قلقاً الآن، ولم اكن لاقلق عليك في يوم من الايام.»

«دعنا ننسى الماضي وآلامه ونفكر بالحاضر الجميل.»

احس والدها ان شيئاً سيئاً يلوح في الافق. اشعل غليونه ثانية وبدأ يفكر في حل المسألة. بدت له كئيبة على اثر ما حدث. ولا زالت تلك القصة تقلقها. والدها الطبيب المحب قطع محادثته عن روما وما يدور حولها، وشرع يسألها بشغف عن شهر العسل الذي ستقضيه في ماجوركا. بعد مرور بعض الوقت اتت جوليا شالمرز، إحدى مرافقات العروس، مع فتاة اخرى لتسوية مسألة حفل الزفاف. فتنحى الوالد جانباً وبدأ جدال طويل.

في غرفة نومها وفيما كانت تستعرض فساتين السهرة مع جوليا وتستمتع الى رأيها بهم، عادت ذكرى دومنيك الى فكرها.

بدا لها من المحال المضي على هذا النحو. لم ولن تهتم سوى ليوم فرحها. وحين يأتي يوم السبت سوف تظهر لدومنيك كم هي سعيدة بزواجها. فقدت توازنها اذ رأت مع صديقتها سيارة تتوقف امام المنزل. حدقت جيداً في سيارة المرسيدس الجديدة التي تلمع تحت اشعة الشمس واذا بشاب يرتدي قميصاً رمادي اللون يترجل منها ويتجه نحوهم.

قالت جوليا بحماس:

« واو! يا لها من سيارة فخمة.» ماذا يحدث

الآن. انه دومينيك! كيف يجرأ ان يأتي الى داري. تقدم نحوها بخطى ثابتة ثم اخرج علبة سجائر من جيب قميصه ومن الاخرى ولاعة ذهبية وهم باشعال سيجارة. شعرت بعدم الارتياح اذ نظرت اليه. كعادته بلونه الاسمر البني وعينيه الصغيرتين السوداوين نظر اليها يتفحصها بلهفة.

«كريسيدا عزيزتي، كيف حالك؟»

تلكأت بعض الشيء ثم اجابت:«اني بخير.»

«حسناً. لقد تركت خطيبك منذ ساعتين من الوقت، كنت اتناول الطعام مع سام، في احد المطاعم على النهر. افترقنا واتيت بسيارتي المرسيدس التي اشتريتها قبل مغادرتي الى البرازيل. هل اعجبتك ؟»

«يا لها من سيارة فخمة؟!»

لقد ظهر بمظهر الشاب الانيق الذي عرفته. وستقوم بمعاملته بشكل طبيعي وكأنهما صديقان قديمان .

«اعتقدانك لن تمانعي حضوري الى هنا. تواعدت مع سام ان ازورك في منزلك ومن ثم نذهب معاً الى حيث سيقام الاحتفال بالزفاف.»

«بالطبع، ولم لا.»

«هل بإمكاني التعرف الى اهلك؟»

«خرجت امي الى السوق، اما والدي فهو في الحديقة. تعال معي اعرفك عليه. »

اشعل دومينيك سيجارة والتفت حول المكان ثم نظر اليها باعجاب.

«تسريحتك جميلة تعجبني.»

www.elromancia.com

بإطرائه اللطيف،حرك فيها مشاعر وذكريات جميلة، امسك يدها وطبع قبلة عليها.

تمتم قائلاً:« لا تغضبي يا قطتي الصغيرة.»

وقاحته جعلتها ترتجف.

«حقاً، دومينيك...»

«لا اريد ان اوْذيك.ارى انك في اشد غضبك وليس من مبرر لما تفعلينه. نحن عاقلين كفاية لنتغاضى عن مثل هذه الامور.»

«نتغاضى!!»

«اعرف ان قصتنا انتهت عند هذا الحد. فأنت ستتزوجين افضل اصدقائي.»

«لا شك في ما تقول.»

«حبيبتي. انا اعرفك جيداً. لكني لا استطيع معرفة شعورك الحقيقي نحوي، لذا آمل ان نبقى صديقين. هذا كل ما في الامر. لم ادمر حياتك كما تتصورين.اذاً لم انت غاضبة مني؟»

انها غاضبة من نفسها قبل ان تكون غاضبة منه.

وحاولت الابتسام وهي تقول:

«لست غاضبة منك البتة. اشكرك على زيارتك. وسأحاول الذهاب برفقتك لرؤية المكان الذي سيقام فيه حفل الزفاف. كيف حال سام حبيبي؟»

«سام بخير، لقد تناول طعاما شهياً، وانا كما تعرفين لم اذق الا القليل.»

هزت رأسها مفكرة. «اذكر تلك اللحظات الحلوة في المقاهي الايطالية و اذكر ايضاً كيف كنت تنظر الى

الطعام بعينيك، خائفاً ان تبدأ بلقمة وتنتهي بوجبة كاملة.

فجأة، ظهرت جوليا امامهما و نظرت الى دومينيك حائرة.

«جوليا. اعرف بـ دومينيك. انه صديق سام الحميم.»

«مرحباً.»ومدت يدها مصافحة.

بطبعه اللعوب نظر الى جوليا بتمعن وكانت مرتدية فستاناً اصفر اللون. تأمل عينيها الزرقاوين الجميلتين وشعرها الاشقر الطويل. كانت ملفتة بكل ما فيها من انوثة وجاذبية. فلو لم تكن كريسيدا موجودة لكان رسمها بريشته بأدق تفاصيلها. لكن حبه الاول بات واضحاً على قسمات وجهه فـ كريسيدا في نظره قد نضجت واصبحت اكثر جمالاً من ذي قبل. انه يحسد سام عليها واحتار في اختيارها الذي يفتقد الى الذوق السليم.

عرف الكثيرات لكن كريسيدا كانت الوحيدة التي حركت فيه عواطف متأججة. وجدها فاتنة جداً في امتزاج انوثتها ما بين الخجل والشغف. وتمنى لو كان متزوجاً منها ولديه عائلة سعيدة. وقف مندهشاً حائراً في أمره.

نظرت حولها فوجدت والدها متكئاً على كرسيه وغافياً قالت:

« لن تتعرف الى والدي الآن فهو نائم ويحتاج للراحة.»

اجابها:« بالطبع، سوف انتظره ريثما يستيقظ.»

www.elromancia.com

نظرت جوليا الى الزائر الجديد بإعجاب، فيما كان يستأذن بالذهاب الى الحمام. بعد ذهابه قالت جوليا باهتمام:

«آه، كم هو جذاب؟»

تعجبت كريسيدا للسؤال وبدت حائرة. ثم قالت:

«حقاً؟!»

«يعجبني. هل تعرفينه منذ مدة طويلة؟ لم اتعرف اليه من قبل. اعتقد انه صديق لسام.»

«نعم، كان معه يدرس في جامعة كامبريدج.»

«ماذا يفعل الآن؟»

«يرسم لوحاتٍ فنية، وفي وقت الفراغ يقوم بعمل اضافي لصالح الاوبرا. اصله برازيلي.»

هزت جوليا رأسها، وكأنها ايقنت ما في الامر ثم قالت:

«رأيته يقبل يدك.اعتقد انه لا يهتم لفتيات سواك. هل تعتقدين ان لدي فرصة معه؟ سوف اذهب الى فيكي واحضر نفسي لاكون جميلة في حفل الزفاف.»

اجابتها كريسيدا منفعلة :

«انتظري لا تذهبي الآن، ابقي لتناول الشاي، لن يتأخر دومينيك في العودة، لأننا سنذهب بعد ذلك الى مكان الاحتفال ويمكنك المجيء معنا.»

«اني اتشوق للذهاب معكما.» فما كان منها الا ان سرحت شعرها بسرعة البرق وتبرجت امام المرآة.

تأملتها كريسيدا وفكرت، كم هو جميل ان تكون الفتاة في عمر التاسعة عشر، فهي تكون بسيطة وغير

متكلفة وليس لديها تجارب كثيرة في هذه الحياة..

سألت جوليا:«هل سيأتي سيمون لحضور حفل الزفاف؟»

اجابتها:«اجل، سيأتي غداً.»

في تلك الاثناء، كان اخوها يقضي عطلته الصيفية بعد انتهاء مدرسته على البحر مع بعض الاصدقاء. واخيراً عاد دومينيك.

حدق دومينيك بكريسيدا وبادرها:« لقد رأيت منزلك من الداخل، انه جميل ومرتب وموقعه مميز، كما انني رأيت البحر من نافذة الحمام.»

هرعت كريسيدا مسرعة وقالت:«اني ذاهبة لاحضر الشاي.»

حاول ابقاءها في الغرفة بقوله انه لا يشرب الشاي الا انها غادرت على الرغم منه وتركته مع جوليا.

بعد ذلك وبعد ان استيقظ الدكتور راي من نومه، اجتمعت العائلة على فنجان شاي في الحديقة. في تلك الاثناء وصلت والدة كريسيدا بعد زيارة الى احدى صديقاتها. بعد الانتهاء من شرب الشاي اقترح دومينيك الذهاب مع كريسيدا للاطلاع على التحضيرات الخاصة بحفل الزواج فطلبت كريسيدا من جوليا مرافقتهما إلا انها بلباقتهاالمعهودة رفضت جوليا الذهاب بسبب اضطرارها للعودة الى البيت.

لم يبق امام كريسيدا الاّ الموافقة. فانطلقا بسيارته الى حيث تقع الصالة ودخلاها من باب جانبي.

استوقفهما مسؤول هناك وكان له حديث قصير مع كريسيدا بعد ان عرفته الى دومينيك.
ابتسم مخاطباً دومينيك:
«لديك عمل مهم جداً.»
ابتسم دومينيك هاتفاً:« ستكون التجربة الأولى بالنسبة لي. ارجو ان لا اوقع خاتم الخطوبة من يدي، فالعروس اسرت الي البارحة ان اتشبث به الى ان يحين الوقت.»
«تماماً، تماماً.»
إن افكاره كشخصه مميزة ولسانه سليط ولا يتغير. مازال كما عرفته في روما.اخيراً، بدأت كريسيدا تسأل عن بعض تفاصيل المناسبة.
قالت: «قبل ابتداء الحفل عليك، انت وسام اعتلاء المرتبة هناك. وفيما انا اتقدم ويدي ممسكة بيد عمي، ستقفان انتما تنتظرانني. نشير اليك بتقديم الخاتم عليك بتلبية الامر. ثم اعتقد ان سام اوضح بأن عليك الاهتمام بنا ونقلنا فيما بعد الى المطار حيث ننطلق من هناك في رحلة شهر عسل.»
قال دومينيك:«سوف اقوم بدوري جيداً.» .
«هذا اذا كنت لا تمانع بذلك.» اجابته بعصبية وحيرة.
وقف ينظر الى شكلها يتأملها بلون بشرتها البنية وعنقها الجميل الذي طالما احبه دومينيك ورسمه بدقة في اكثر من لوحة. والآن شعر بخجل يعتريه اذ ظهرت على وجهه علامات التأثر من فرط حبه لها.

بالطبع، كان يعرف كل المعرفة ان كريسيدا ستصبح زوجة لسام بعد ايام معدودة. كان بوده ان يعرف صدق العلاقة التي تربطها بسام، وهل ما زالت تتذكر تلك الايام الخوالي معه. تمنى لو انها تنسى امر زواجها منه فيخطفها بسيارته المرسيدس الى المطار ويطير بها ليس الى شهر العسل بل الى روما حيث تبقى هناك معه في الاستديو.
فجأة، انحنى بالقرب منها ووضع يده على كتفها. وهمس:«فلنخرج من هذا المكان.»
استدارت ونظرت اليه. الاحاسيس التي رأتها في عينيه اخافتها وجعلت قلبها ينبض بقوة. ابعدت نظرها عنه وخرجت مسرعة.
بادرها للتو قائلاً:«يتراءى لي انك ستحظين بحفل زفاف موفق. واتخيلك عروساً جميلة بفستان ابيض ممسكة بباقة زهر بيضاء تقفين الى جانبه وربما ترتجفين من فرحك.»
«اخرس. قلت اخرس دومينيك. كفى مهاترة وهزءاً.»
«لا داعي للتوتر والعصبية، سأكف عن مضايقتك.»
مشت معه الى ان وصلا الى السيارة. هناك وقفت تبكي تأثراً وتمنت لو لم تعرفه قط. وشعرت بقرارة نفسها انها تكرهه، تكره ذكراه، تكره عودته الى حياتها. وتتمنى ابتعاده في اقرب وقت ممكن.
اقترب منها قائلاً:« انا جد متأسف لما حصل. ألا تفهمين قصدي؟»
«لماذا تعذبني؟ ماذا فعلت بحقك؟» وتابعت بكاءها،

www.elromancia.com

فلمعت عيناها من شدة الدمع، تمنى لو انه يمسك ريشة بيده يرسمها في تلك اللحظة باللون الذي تعكسه عيناها.

قال لها:«اعتذر منك يا قطتي الصغيرة، لن اسامح نفسي لأنني جعلتك تبكين.»

قالت تتنهد:«اولاً، اطلب منك ان تكف عن مناداتي بقطتك الصغيرة. ثانياً، لو عرف سام حقيقة ما بيني وبينك. آه ... الا تفهم ما اقول؟!»

«آه، سام.» تمتم دومينيك ساخراً: «سام!»

«اجل، ولا تتلفظ باسمه بهذه النبرة. ذكرت بنفسك انك تحبه وتحترمه. هل تريد اذيته؟»

«حسناً، حسناً، اهدئي ولا تجزعي حبيبتي. لن اؤذيه اتفهمين. الحظ يبدو لجانبه وسيتزوج بك. وانا لا احسده بالطبع.»

حاولت التستر وراء دموع كاذبة واجابته:

«كلا بالطبع ولما تحسده!»

كادت تتلاشى من شدة حبها له وتمنت لو انه لم يأت الى بريتون ولم يتسبب لها بالبؤس والكآبة.

ندمت لخروجها معه الآن وندمت لانها تورطت معه في علاقة حب في الماضي. تمنت لو ان الاشياء تتبدل، ولكن ما من فائدة.

ما عرفته الآن هو ان زواجها من سام لم يبنى على الصدق والصراحة، وان فستان العروس الذي سترتديه مجرد زيف لا اكثر.

اقتنعت اخيراً ان ما تقوم به مجرد تقليد ورثته عن

من سبقها. وارتداء الفستان الابيض ما هو الا عادات زائفة.

لكنها استجمعت قوتها وقالت بحزم: «دعني اوضح لك امراً، دومينيك انا احب سام وارغب الزواج منه ولن اتأثر بما تود عمله.»

بادرها:«حبيبتي كريسيدا، لقد اسأت فهمي... لم آت الى هنا بقصد سيئ.»

اجابته:

«اذاً لا تأت على ذكر الماضي.»

«سامحيني كريسيدا لكنني ما زلت احبك.»

«وانا لم اعد احبك.»

لم يعجب دومينيك ما صرحت به الا انه صمت على مضض.

قال:« هيا، اصعدي الى السيارة، لكن لن نذهب الى منزلك الآن. سآخذك الى مكان نرتاح فيه ونتناول مرطباً منعشاً.»

اجابت:«كلا. افضل الرجوع الى المنزل.»

«حبيبتي، اتيت من مكان بعيد للمكوث معك. لن نبحث اموراً تتعلق بماضينا. فلنتحدث عن سام او اي موضوع آخر ان شئت!»

«لا. لا زلت مصممة على رأيي.»

«الا زلت مصممة على رفضي؟»

«نعم، اقولها بصدق.»

«آسف.» وفكر انها ربما ستبدل رأيها بعد عودتها من شهر العسل. واضاف:«لا تأخذي كلامي على محمل

www.elromancia.com

الجد. لم اكن في يوم من الايام تقليدياً وكذلك انت. اعتقد انك تغيرت.»

«نعم بالفعل.» اجابته بذلك وهي تهم بركوب السيارة الى جانبه. واحست بالندم على انفعالها وعصبيتها. بعد ان انطلقت بهما السيارة، بادرها دومينيك قائلاً:

«خجلت لأني حشرت نفسي في ما لا يعنيني.»

تابع بعد قليل:«جرت الامور عكس ما نشتهي. خطيبك ارادني مرافقا له.»

اختلطت الامور على دومينيك وراح يتخيل المشهد حيث يقف بائساً الى جانب العريس والعروس.اي موقف هو هذا!! بات عليه اخذ موقف حاسم والتصرف بحكمة. عليه الهرب من مثل هذه المسألة وترك الاثنين وشأنهما.

تيقنت ان دومينيك بأفكاره المتجددة والعديدة استطاع ان يسلب قلبها ويجعلها في حالة اضطراب دائمة. العواطف لا تعنيه كثيراً. هاجسه تحسين نوع عمله والانطلاق من جديد في سبيل التطور.

لم تعد تدري ما تقول وخافت في لحظة ضعف ان ترتمي بين يديه من الشوق.

«قطتي الجميلة. كل ما فيك فاتن ومحبب الي. ابق كما انت الآن. لا تجامليني. فانت محبوبتي شئت ام ابيت.»

سام، اين انت الآن لاختبئ بين ذراعيك واتخلص من افكار سوداء تلاحقني.

وفي طريق عودتهم الى بريتون، بدأ نقاش بينهما حول الفن واللوحات الفنية التي تباع خارج البلاد باسعار منخفضة. كريسيدا اعترضت فيما هو لم يبال للامر لانه حسب رأيه ستعرض هذه اللوحات في احد متاحف العالم ليتفرج عليها عدد كبير من المعجبين من جنسيات متعددة. لكنه علق بقوله، انه يعجب لما يقتنيها مليونير كبير، ليعلقها فقط فوق المدفأة. كان عليه استبدالها بصورة فوتوغرافية بخسة.

توقفت بهما السيارة امام منزلها. والتفت دومينيك اليها قائلاً:

«لم لا نتناول العشاء معاً. اعدك اني سأبقى محايداً ما لم تبدلي رأيك.»

قالت بغلاظة:«سوف لن ابدله.»

نظر اليها باعجاب وقال:

«ارى انك استعدت ثقتك بنفسك وتتخذين قرارك بحسم.»

«كما ترى.»

«آه، كريسيدا. لا تقسي علي. اعتبريني مجرد صديق. سأكون الى جانبك في كل وقت.»

توردت خداها وتركت السيارة بعجل .

ربما كان تصرفها مجرد عبث وطيش. لم تقو على كبح عواطفها امامه وهي التي احبته في الماضي بكل جوارحها. وسام لطيف معها لا تستطيع نسيانه كما انها تدين له بالكثير.

«الى اللقاء دومينيك. يبدو اني متوترة ومرهقة

كثيراً،انت تعرف جيداً كم يتطلب الزواج جهداً وتعباً.انت لا تعني ما قلته اليس كذلك ؟»

«بالطبع، اود فقط ان ابني علاقة وطيدة فيما بيننا ومعنا سام.عند عودتكم الى لندن سوف ابقى هنا للعمل في الصيف والخريف. وسترين حتماً اعمالي التي انجزتها للأوبرا.»

لقد اقام علاقة وثيقة مع مخرج الاوبرا آلدو وتحسر لعدم تمكنها من الحضور في ليلة الافتتاح.

للمرة الثانية اصابها ما يشبه الهلع. فقد راق لها حديثه اللطيف ومعاملته الحسنة على الرغم من جهلها لمواضيع هو ضليع بها. بموهبته الفذة طغى على كل كيانها وبلهجته الانكليزية التي اختلطت باللهجة الايطالية.

سألها مبتسماً:«هل انت سعيدة اني انجزت لوحة؟ انت حثيتني على العمل دون تأفف.»

اجابته:« عمل رائع قمت به.»

«هل سام مولع بالفن.»

ترددت حائرة، حين طلب منها ان تختار لوحة من لوحاته لمنزلها. فقالت:

«يحبذ سام الفنون، وزوج والدته السيد غاي يملك واحدة، سام سيأخذك لتراها.»

«طلب مني سام مرة رسم والدته فراني.»

«اعرف ان رسمها سيبدو جميلاً. انها امرأة رائعة.»

نظر اليها دومينيك يتأملها. وقال:

«حسناً، هل لي بمرافقة صديقتك جوليا في نزهة

ومن ثم دعوتها الى عشاء. ارى ان من واجبي فعل ذلك.»

لم تكن تعني لها دعوة العشاء شيئاً، ولا سبب يجعلها تغار، لكنها لا تريد من دومينيك ان يبدأ بعلاقة مع جوليا. منذ دقائق حاولت اقناع نفسها انه لائق ولا يقصد اذيتها لكن الآن بدأ يراوغ من جديد.

سألها:« هل يمكنك ان تعطيني رقم هاتف جوليا؟»

اجابت:« اجل، لكن ارجوك دومينيك، لا تفعل...»

«لا افعل ماذا؟»

قرأت نظرة ذكية في عينيه السوداوين واحمرت خجلاً. اضاف يقول:

«هل تخافين ان اتورط مع صديقتك؟»

ارتبكت ولم تجبه. ضحك وقال بصوت خافت:

«كريسيدا، قطتي المدللة.انت تأخذين الامور بشكل جدي. لا تنسي اني لاتيني الاصل واقيم مسألة الحب وارفع من شأنه، لكن لو اعتبرنا الجدية في علاقاتنا فقد ننغص حياتنا.»

فهمت القصد من كلامه لكنها تظاهرت بعدم الفهم وقالت حانقة:

« لا ادري عما تتكلم. علي الذهاب الآن. الى اللقاء وشكراً للزيارة. اراك لاحقاً يوم السبت.»

انطلق بسيارته باسماً. وتركها وحيدة مع افكارها الضائعة.

تبين لها الآن انه لا مجال في اعادة الامور الى سابق عهدها.فتصرفاته اليوم مازالت كما كانت منذ ستة

www.liilromancia.com

اشهر في روما، فهو شاب بطبع لا يتغير. احست بارتباك وحيرة من امرها.

التقت والدتها في الصالة الكبرى التي سألتها:« يا له من شاب مهذب السيد ميلن.»

«انت تتصورين ذلك، امي.»اجابتها بذلك وهي تسير متجهة نحو غرفتها.

لاحظت والدتها ان كآبة استبدت بها من جديد. اعتراها خوف شديد اذ سألها زوجها جون سؤالاً حيرها. قال:« هل لك بمعرفة ما يدور بخلدها. تبدلت بشكل كبير مذ عادت من روما...»

اظن انهاعرفته هناك المسكينة.

بقيت فريدا تفكر في امر دومينيك للحظات. اما كريسيدا فدخلت تستحم وبعد ان انتهت ساعدت والدتها في المطبخ بتحضير وجبة العشاء. بدت منشرحة وهي تفكر في دومينيك وجوليا. قررت ان تنبه جوليا الى عدم التورط معه كي لا تندم في المستقبل على امر فعلته بطيش.

« بدأت اشعر اني كبرت سناً لأني سأتزوج.» خاطبت نفسها ضاحكة.

اتصلت كريسيدا بجوليا صباح اليوم التالي فاخبرتها انها لم تكن بصحبة دومينيك على العشاء بل دعيت لمناسبة اخرى وكانت معها زوجة اخيها. هناك تعرفت الى شاب جذاب. واضافت قائلة:

«لكن اوافقك الرأي، كريسيدا. فصديق سام رائع جداً ورجل بكل معنى الكلمة.»

اجابتها بحذر:« انظري جوليا. لا تتحامقي. دومينيك ليس بالشاب السهل حسب ما تظنين. عليك ان تأخذي حذرك منه.»

اجابتها جوليا ضاحكة:«انت تتكلمين مثل امي تماماً.»

«نعم، جوليا. اني اقصد ما اقول.»

ثم اطرقت تفكر ملياً. فهي ابنة الثالثة والعشرين. بدأت تتصرف تماماً كوالدتها بوعي وتدبر للامور. ماذا فعلت والدتها من امر حيالها؟ فقد قادتها خطاها الى ما لم يكن في الحسبان.

الفصل السابع

انشغلت العائلة بحفل زواج كريسيدا. الجميع ينتظر الحدث السعيد بفارغ الصبر.
كان يوماً من ايام الشتاء الدافئة حيث سطعت الشمس بأشعتها الذهبية بعد يوم ماطر. بدت كريسيدا متحمسة وهي متجهة الى حفل الزواج مع عمها العزيز بيل. وتراءى البحر امامها بلونه اللازوردي المنعكس رونقاً على الافق.
امتلأ المكان بالحضور والمدعوين الذين تجمعوا للقاء العروسين الجميلين. بدأ عزف الاورغ يرافقه غناء شجيل إدموند الذي ادهش الجميع بغنائه وصوته الجميل.
وقفت كريسيدا امام المرآة في غرفة والدتها تتبرج. بان على ملامحها ارتباك الفرح فيما والدتها تضع اللمسات الاخيرة على طرحة العروس وتسريحة الشعر.
بعد ان وضعت احمر الشفاه على شفتيها. تأملت وجهها فوجدته اصفر ذابلاً، وبلمسة من اصابعها مسحت بشرتها الطرية بمرطب ثم اضافت فوق الكريم الذي وضعته مسحة من البودرة الزهرية اللون. عليها ان تظهر جميلة فالعروس يجب ان تكون ملفتة ومميزة اطرت عليها صديقتاها نعوتاً مختلفة لما بدت عليه من فتنة وجمال. زينت فستانها بـ بروش

غالي الثمن ثم وضعت في اصبعها خاتماً فيه حبة زمرد اهدته لها والدة سام بمناسبة زواجها.
الى جانب خاتم الزمرد، اهدتها السيدة فراني معطفاً من الفراء الباهظ الثمن والفاخر باللون البني الفاتح.
اعجبت كريسيدا به وتمنت ارتداءه في ذلك اليوم لكن الطقس كان دافئاً ولم تكن بحاجة اليه.
حملت بيدها اليمنى باقة من الازهار البيضاء التي اختلطت بأزهار صفراء وتطلعت الى ذيل فستانها بغرابة وهي تتذكر كلمات دومينيك الساخرة: سترتجف اليد التي ستمسك باقة الزهر... وعلى الارجح سيرتجف كيان العروس بأكمله.
سكنتها ذكرى الماضي بآلامه وارتجفت يداها اضطراباً فيما كانت عيناها تدمعان. تمنت ان لا يحضر دومينيك.
استدارت تنظر الى والدتها الانيقة التي رمقتها بسعادة وقالت:
«تبدين جميلة بفستانك الابيض الانيق!»
«بل اجمل الجميلات عمتي.» اجابت الفتاتان اللتان ترافقان العروس بذلك.
بفستانها الاخضر السندسي الذي انعكس بتموجه على لون عينيها الخضراوين بدت ساحرة تلفت الانظار. وكذلك ابنة عمها فيكتوريا الرائعة الجمال بشعرها الاجعد الاشقر القصير ووجهها المتألق.
كان الجميع في حالة فرح عارمة. وسيمون شقيق العروس يتمختر ببذته الرسمية السوداء وربطة عنقه

الانيقة. كان قد سرح شعره برفق ينتظر الذهاب الى الحفل.فتقدمت والدته منه نظرت اليه بحب ووضعت لمساتها الاخيرة استعداداً.اما والد كريسيدا السيد جون انتظر بفارغ الصبر حلول الساعة المرتقبة. ارتدى معطفه الاسود وقطف زهرة صغيرة من باقة العرس وضعها في جيب معطفه. العم بيل شقيق السيد جون كان الى جانبه ينتظر كريسيدا لاصطحابها الى زوجها.

تأفف سيمون من انتظار اخته التي وقفت امام المرآة لساعات طويلة تتأمل فستان الزفاف وقال:

«سأحضر محبرة وسأرمي ما في داخلها على فستانك فيما لو تأخرت اكثر. تبدين جميلة جداً كريسيدا.»

«افعل ما تريد وسينهال عليك سام ضرباً.» اجابته شقيقته مبتسمة.

«من؟ سام الطيب. تصوري انه يفعل؟» اجابهابذلك حيث كانت والدته ممتعضة.

«هذا يكفي هذه اختك وعليك احترامها وتذكر انها بعد ساعات قليلة ستصبح السيدة سان بول. لا يمكنك التحدث الى سيدة متزوجة كما تتحدث الى احدى زميلاتك في المدرسة.»

«لا توجد معنا فتيات سخيفات في المدرسة.» اجابها ساخراً.

الكل كان يضحك باستثناء كريسيدا التي توترت بعد ان احست بضيق عائلتها. لقد انتظرت تلك اللحظات

السعيدة منذ وقت طويل حتى ان والدها ادخر بعض المال من اجل هذه المناسبة.

وضعت طاولات بأغطية زرقاء وبيضاء مخططة في حديقة المنزل.وشرع المدعوون بالتوافد تباعاً بعد ان قام طهاة مطعم قديم بالقرب من منزلهم بتقديم الشراب والطعام.

وصل الى المنزل اعداد كبيرة من المدعوين. قام سام بتجهيز كامل الضيافة بما فيهاالشراب والطعام الذي اختاره من اجود وافخر الاصناف. ولهذا وقفت كريسيدا تمدح بخصال سام الحميدة امام صديقتيها ووالدتها.

معظم المدعوين كانوا من اصدقاء سام ووالدته ومن عائلة زوج والدته.

أتت اللحظة التي تقدمت فيها كريسيدا متأبطة ذراع عمها بلياقة وانوثة.خطت خطوة نحو الامام ونظرت امامها فإذا بها تلمح سام واقفاً بلباسه الرسمي الاسود وقد وضع زهرة حمراء على جيب بزته ثم الى جانبه وقف شاب قصير ونحيل، كان دومينيك.

تجاهلت دومينيك والتفتت الى خطيبها منفعلة متوترة وعرفت حينها انها احبته كما احبها. كان ينظر اليها بترقب وعيناه الزرقاوان تحدقان بها من بعيد فيما وقف دومينيك يراقب ما يجري من حوله باعجاب وسخرية.تظاهرت بعدم الاكتراث لدومينيك وركزت تفكيرها واهتمامها على رجل الدين الذي كان يعقد القران.

www.elromancia.com

شعرت بعدئذ كريسيدا انها في حلم غريب ولم تعد تقوى على الوقوف، ثم استعادت ثقتها بنفسها فاستقامت في وقفتها. ضغط سام على يدها بقوة فاحست بعاطفة وهاجة على اثرها تدفقت حيوية وابتسمت من جديد. بعدما استعادت قوتها ورباطة جأشها واقسمت انها ستبقى مخلصة لسام طوال العمر.

لم تعد متنبهة لوجود دومينيك هناك، على الرغم من تلفته باتجاهها. عند الانتهاء ناول سام الخاتم وهو ينظر اليها. بدوره البس سام الخاتم في اصبعها فاحست حينها باعتزاز وافتخار. ما من خوف بعد اليوم، سام سيحميها في المستقبل من اي طارىء يستجد.

خلف العروسين وقف سيمون منتظراً انتهاء مراسيم الزواج فيما وقفت والدتها تبكي بكاء فرح مرير. اما والدها فقد جلس على كرسيه يمسح دمعتين انحدرتا على خديه.

كان سيمون يفكر في الايام المقبلة وفي صهره سام الذي سيصحبه في رحلات لحضور مباريات عالمية وسيحسده رفاقه على هذا.

السيدة فراني نظرت الى ابنها باكية واختلطت احاسيسها حين تذكرت يوم زفافها من والد سام. ابتسمت لرؤية ابنها بشعره الاشقر وعينيه الزرقاوين. تذكرت سبعاً وعشرين سنة مرت حيث غادرت منزل الزوجية الاول على اثر خلاف مع والد سام لاساءتها

تدبر الامور وعدم اكتراثها بتربية ابنها الوحيد. انفصلت عن زوجها مارتن وتزوجت غاي المثقف المضجر، لكن عوضت ما فاتها من ايام حلوة بمالٍ وفير. وهي حتى اليوم تعتبر نفسها مسؤولة عن مصروف ابنها وتغدق عليه الهدايا والمال على الرغم من انفراده في السكن. كان يكدر عليهاعيشها ويطالبها بأشياء لا تستطيع احتمالها. من دونه لكانت عاشت حياة افضل وارقى، تمنت لو ان عروس ابنها كانت ابنة صديقتها ديانا. رأت فيما بعد ان كريسيدا جميلة بما فيه الكفاية حتى انها تفوق ديانا حسناً. وافقت على مضض على زواجه منها، واصبحت تكن لوالديها حباً واحتراماً كبيرين وتنتظر المولود الموعود.

عرفت ان امر قدوم طفل صغير سيهدد شبابها الذي تحافظ عليه. وبردائها الابيض وقبعتها المختلطة الالوان، بدت فاتنة، خلبت قلوب الناس بأناقتها. انها سيدة بكل ما في الكلمة من معنى، مرتبة وانيقة على الدوام. كانت سعيدة لأنها اوحت لسام دعوة السيد كولن والليدي رافنغتون الى حفل زواجه، لم تكن تربط بين هذين الاثنين وفراني اواصر ود عميقة. السيد كولن الذي كان فيما مضى حاكم ولاية في انكلترا والليدي رافنغتون التي تبدو اصغر من فراني والدة سام بعشرين سنة الى جانب لقبها الاجتماعي المرموق، كانت قد اقنعت فراني بالمثول لرغبة سام بالزواج من كريسيدا التي لم تقتنع بها كلياً حتى الآن.

وتذكرت فراني ابن صديقتها الذي تزوج ابنة البقال الفقيرة فارتاحت وقالت:

«في كل الاحوال، لست نادمة، عائلتها كريمة ووالدها طبيب مشهور.»

عند انتهاء عقد القران، توجهت فراني وغاي الى حيث العريسان يوقعان على ورقة كي يحصلا على وثيقة الزواج.

عانقت فراني ابنها وزوجته بمحبة كبيرة.

«احبائي! تمنياتي لكما بالسعادة، تبدوان رائعين.»

«اشكرك فراني.» قالت كريسيدا ذلك وتورد خداها باللون الاحمر.

قال سام حين رأى وجهها الاحمر:«لقد، حظيت بزوجة جميلة جداً.»

تقدم دومينيك على الفور قائلاً:

«تمنياتي لكما بزواج موفق!» وانحنى مقبلاً يد كريسيدا ووجنتيها. جمدت كريسيدا للحظات وشعرت بالضباب يغشي عينيها. انهما قبلتان فقط لكنهما اشعلا فيها اشواق الماضي. ابتعد عنها قليلاً ونظر في عينيها فتكدرت غاضبة.

استدارت وقلبها يخفق بقوة وتأبطت ذراع سام بسرعة.

«زوجي الحبيب.» قالت ذلك بصوت مرتجف.

ضغط سام على يدها بسعادة كان قد حارب كثيراً كي يحظى بها ولم تصدق عيناه انها امامه بالفستان الابيض وانها اصبحت زوجته، والآن حان وقت

الرحيل. مشى دومينيك الى جانب الشابتين مطرقاً يفكر حزيناً.

بدا دومينيك مشتت الافكار، ود لو انه العريس آنذاك، فتلك القبلتان الدافئتان على خديها المخملتين قد حركا في نفسه مشاعر قوية لن ينساها. عرفها وعرف من قبلها جميلات كثر، ومن بعد معرفته بها تعرف على شابة سمراء جذابة قام برسمها بعناية. الا ان حبه لـ كريسيدا ذو نكهة خاصة، مختلف.

انها كريسيدا وليست فتاة اخرى. اصبحت الآن زوجة سام وترتب عليه الآن الندم والبقاء وحيداً. كريسيدا بعفويتها وذكائها الحاد وسرعة خاطرها استطاعت ان تسلب فؤاده وتحرك مشاعره حتى البكاء.

تمنى لو انه يستطيع ترك المكان حالاً دون تردد. لكن عليه واجب يجب ان ينفذه حتى النهاية.

وقف حائراً وسط جمع من الضيوف يحتسي كوباً من شراب بانتظار التقاط صور تذكارية مع العروسين وعائلتيهما ومن ثم الانطلاق في سيارة اجرة فخمة الى الفندق حيث يقام استقبال حافل.

كان دومينيك طوال الوقت يتحسر لقدومه الى حضور زفاف من احبها. في الفندق، وقفت كريسيدا الى جانب زوجها تستقبل المدعوين وتتلقى التهاني بفرحة كبيرة فيما الاحتفال بالمناسبة قائم.

وقفت والدة سام الى جانب العروسين ووالدي العروس تستقبل ضيوفها، بدت منشرحة الصدر فرحة وهي تتلقى التهاني بالعروسين الى جانب

الاطراء بحسنها وجمالها وبهاء طلتها.
ابعد دومينيك افكاره عن كريسيدا وشرع يمتدح جوليا لبعض الوقت بحيويتها وفتنتها الطاغية ثم اعتذر وانتقل الى مكان آخر حيث جرى حديث بينه وبين غاي العجوز المرح الذي افكاره مختلفة جداً عن افكار زوجته.دار نقاش طريف بينهما عن الفن والرسم، حيث وقفت الى جانبه فراني بقدها الممشوق وصورتها الجميلة تتحدث الى بعض فتيات عن آخر ما توصلت اليه دور التجميل.
وقفت كريسيدا تنظر متلفتة حولها تبحث بعينيها الزائغتين عن دومينيك الذي اختفى بين الحشود.
وقف العريسان امام قالب الحلوى وبدآ بتقطيعه.
وبعد ان ادلى العم بيل بكلمة شكر، تبعها بضع كلمات تفوه بها والد كريسيدا، هرع دومينيك لتقديم الحلوى للمدعوين متظاهراً بالضحك والسرور.
بعد ان قال دومينيك كلمته على عجل، تقدم من العروسين يقدم تهانيه. قال:
«كنت اود المكوث اكثر لكن يبدو ان الماَ في رأسي مصر على الا يبارحني، اعتقد انه داء الشقيقة، عليَ الآن بالذهاب، مع اعتذاري الشديد.»
اجاب سام باهتمام:
«آسف لذلك، دومينيك.»
قال دومينيك مقاطعاً:
«لا عليك، سأصبح على خير ما يرام.»
التفت سام الى كريسيدا سائلاً:

«سوف نشعر بالحزن لتركك الحفل، اليس كذلك حبيبتي؟»
اجابت قائلة:«بلى، بالطبع!»
عرفت كريسيدا على الفور ما كان يعنيه دومينيك باعتذاره، من نظرته اليها تكهنت ان ألم رأسه تسبب به ازعاج آت من ضجيج الحفل او لامر تعرفه دون سواها.
هتف دومينيك قائلاً:
«سأهتم بالموضوع بحذافيره. لا تجذعا! سأطلب الى الشخص المسؤول هناك، اعتقد ان اسمه ميشيل، مرافقتكما الى فندق سافوي. اليس كذلك؟»
«اجل، لا تقلق لقد رتبنا كافة امورنا. اذهب واهتم بنفسك. والدتي تعاني من هذا الداء.»
في تلك اللحظة تقدمت فراني من العروسين ثم اشارت الى سام قائلة:
«تعال معي حبيبي، هناك صفقة عمل سنقوم بترتيبها بواسطة السيد رافنغتون. وهي فرصتك الذهبية.»
«ماذا امي! تريدينني ان اقوم بأعمال في يوم زفافي؟ حقاً!»
بدأ سام بالضحك، لكن والدته امسكت بيده وقادته الى حيث كان يجلس السيد كولن. قائلة:
«متى سنحت لك فرصة جني الاموال لا تتأخر مطلقاً.» وقفت كريسيدا امام دومينيك وجهاً لوجه وبدأت تسوي فستانها بطرف اصابعها. بادرته قائلة

www.elromancia.com

فيما قلبها يخفق بقوة:«آسفة جداً لما اصابك من ألم في رأسك، لم اعرف انك متأثر جداً.»

«لا، لا تجزعي. اني بخير. كنت ابحث عن عذر كي اغادر المكان.»

«اذاً، سئمت البقاء بين كل تلك الحشود؟»

اجابها مقاطعاً:

«جئت الى حفل الزفاف رغماً عني. فقط من اجلك... والآن سئمت، هل لي بالمغادرة؟»

كادت تقع ارضاً من فرط ارتباكها. على الرغم من انغماسه في فنه وعدم اكتراثه لامرها، اتضح لها بعد مرور الزمن انه غارق في حبها ويتمناها بكل ارادته. صحيح انه يختلف عن سام بأسلوبه الخاص، فهو لا يتكلم عن عواطفه التي تفضحه وتظهر على ملامح وجهه. تبين حسب اعتقادها ان امر زواجها من سام قد قضّ مضجعه واحزنه وقاد به الى الاحجام عن حضور الحفل حتى نهايته. لماذا لم تظهر هذه العاطفة قبل اليوم؟ لماذا اخفى شعوره عنها؟ لماذا لم يعترف بحبه لها قبل الآن فما كان من كريسيدا الا ان نظرت اليه تتأمله وهو يحاول التملص بأي وسيلة لديه.قال ساخراً:«تهاني القلبية لك وسام.» مد يده مصافحاً ثم بحركة جريئة، بعد ان لاحظ الخاتم في اصبعها، افلت يدها بعصبية ثم اضاف:

«آه، حسناً. لقد اصبحت عروساً جميلة، ترفلين بثوبك الابيض في حديقة الفندق مع زوجك السعيد تحت ضوء القمر ...»

قاطعته غاضبة، بعد ان خاب ظنها حيال كذبه عن ألم رأسه.

«يكفيك سخرية! الا يكفيك ما فعلت اليوم. لقد افسدت علي حفل زواجي؟!»

اجابها بهزء: « هل فعلت ذلك، حقاً؟!»

طأطأت رأسها خجلاً وعيناها تقدحان غيظاً.

اجابت :« عليك بالذهاب إذاً ... من الافضل ان تذهب.»

رفع كتفيه محاولاً اظهار عدم اكتراثه للموضوع. لقد ترك ذلك الجمال البهي وراءه ليته لم يترك روما ويفترق عنها. والآن يؤنب نفسه على ذنب اقترفه بعدم الزواج منها والسماح لصديقه بأن يخطفها منه. انها المرة الاولى التي يقع فيها بالحب، ومن هي التي احبها، انها زوجة احد اصدقائه الحميمين.

«الى اللقاء، كريسيدا.» قال مقاطعاً:« انني مسافر غداً الى البرازيل، لدي موعد عمل طارىء مع كونلتي.»

احتارت في أمرها حيال ما يحصل معها الآن، فقد حاول اغاظتها في لحظة فرحتها الكبرى وها هو الآن يغادر دون اكتراث لأمر مستقبلها الذي يسعى لتحطيمه بكلتي يديه. قالت ناهرة:

«هل عليك السفر الى البرازيل؟»

اجابها بكآبة:« لما تهتمين لأمري؟ أسافر او لا أسافر. هذا شأني يا سيدة بول.»

في تلك اللحظة تمنت لو يعود الماضي ليضمها بين ذراعيه، الا انها لم تقل سوى :

www.elromancia.com

«اذهب الى حيث شئت وحاول الا ترى سام، وان استطعت ان لا تراني فيكون افضل.»

ضحك بكل جوارحه، وهو يكتم غضبه ثم اردف قائلاً:

«قد حطمتني فعلاً حبيبتي. دعينا لا نتشاجر. كنت احمقاً بما فيه الكفاية وانت عاقلة تزوجت من سام ولم تأبهي لحبي لك. على اي حال، اذهبي وكوني سعيدة معه ولا تفكري بي. اودعك وآسف لأني صرحت بحبي لك.»

تركها ثم اختفى بين الجموع وبقيت هي تنظر اليه مندهشة حتى ان وجهها الاحمر القاني اصبح بلون فستانها الابيض. لم تصدق البتة ما رأته عيناها ولم تصدق تلك الكلمات المعسولة التي تفوه بها غير انها حاولت تناسي ما جرى وفي نفسها حسرة لانها لن تراه بعد هذا اليوم.

بادرها اخوها قائلاً:« اين سام؟ اراك وحيدة هنا؟»

وضعت كريسيدا يدها على رأس اخيها واجابته بمرح:

«مرحباً سيمون، هل تستمتع بوقتك؟»

«تناولت ست سندويشات، ثلاث قطع من الحلوى، ثلاث زجاجات من الكولا والآن بانتظاري قالب الحلوى الكبير.»

تمتمت بصوت منخفض:«يا لك من ولد شره.»

عاد سام في هذه الاثناء ووقف الى جانب زوجته وطبع قبلة على خدها.

«سامحيني زوجتي الجميلة لاني تركتك بمفردك. انها غلطة والدتي التي حرمتني من المكوث مع زوجتي الحبيبة.»

«حبيبي سام، كم انا مشتاقة اليك. ستكون زوجاً رائعاً، اقولها بصدق.»

«سأكون عند حسن ظنك.لكن، اين دومينيك؟ هل ذهب؟» لا أراه ؟»

قالت كريسيدا ببطء:« اجل، لقد غادر.»

www.elromancia.com

الفصل الثامن

آخر الاحصاءات تفيد ان عدد السياح الوافدين الى ماريوكا متفوق جداً في شهر آب (اغسطس) حيث غادر العروسان ونزلا في فندق فخم يعتبر من اهم فنادق العالم.

في تلك البلاد الجميلة وفي جزيرة مايوركا بالذات الممتدة على البحر الازرق بمناظر خلابة، شعرت كريسيدا بفرح كبير. وقفا على شرفة الفندق ينظران الى بائعي الاسماك الذين تأبطوا السلال الملأى بجميع انواع الاسماك البحرية الطازجة. استراحا لبعض الوقت في غرفتهما ثم بعد ظهر ذلك اليوم قاما بجولة في الاسواق الشعبية يجيلان النظر في محلات الباعة التي اكتظت وازدحمت بالناس من مختلف الجنسيات. حين شعرا بالتعب جلسا في مقهى راق طلبت كريسيدا شراباً منعشاً لتذهب عنها حر الشمس المحرقة، اما سام فاستقر رأيه على فنجان شاي. وقد راقه ما رأى من مشاهد لم ير مثلها من قبل. حشد كبير من الناس تجمهر يتفرج على احتفال اقيم في الهواء الطلق للترويح عن السياح. خلال تلك الفترة التي امتدت لاسبوعين.لم تعكر ذكرى دومينيك صفو حياتها فقد غمرها سام بحب كبير ملأ عليها تلك الساعات السعيدة. احست بسعادة

عارمة وهي الى جانبه وشعرت بفخر وأمان اذ اصبحت زوجته الحبيبة.

من حين لآخر كانت تنتابها احاسيس غريبة تشعر على اثرها ان السعادة التي تملكها ستفقدها في يوم من الايام لا محالة.

تذكرت ليلة زفافها، حين همس سام في اذنها وهما يرقصان رقصتهما المفضلة حيث قال:

« اتمنى ان تدوم السعادة بيننا سيدة بول، تبدين جميلة حبيبتي.»

وقفت بفستانها الحريري المطرز بأزهار مختلفة تنظر اليه بحنان وقد بدت رائعة الجمال بتسريحة شعرها واناقتها، وبادرته قائلة:

«اشعر وانا بالقرب منك بسعادة عارمة لم احس بها من قبل.»

«وانا حبيبتي ابادلك نفس الشعور.»

رقصا حتى ساعة متأخرة من تلك الليلة يهمسان همسات حالمة. جلسا معاً يتحدثان فيما كانا يشربان القهوة. وكانت تشعر بسعادة لا توصف حين كان يمازحها بعطف وحب وحنان ثم يرمقها بنظرة حارة من عينيه الدافئتين.

قال لها بحب:

« لن انسى وجهك الجميل حين كنت تقسمين وعد الزواج، طيلة حياتي. لقد شاهدت في الماضي عدة عرائس، لكن لم يكن بمثل جمالك ابداً، فأنت كنت حلم كل رجل.»

www.elromancia.com

«انت تقول هذا لاني زوجتك، سام.»
«كان هذا رأي دومينيك ايضاً.»
«اصحيح ما تقول؟»
تابع سام قوله:« اروع ما فيك كانت نظرة عينيك.»
«تماماً، لاني كنت سأصبح زوجة لك.»
«لم اكن اتصور اني في يوم من الايام،سأتزوج عروس جميلة مثلك.»
توقفت دقات قلبها على الفور وشعرت ببرودة تتسلل الى كل اعضاء جسمها.
وتسمرت في مكانها من فرط دهشتها.
انه يحبني حباً لا يوصف. لم أجد في حياتي من يتدفق عاطفة مثله، ويقدم حباً مثل حبه.
لو تستطيع ان تتكلم عن الماضي، عن دومينيك لكن ذلك صعب، فهو بالطبع سيشعر بالمذلة والاذى، كون دومينيك صديقه.
قررت دون تردد ترك الماضي خلفها والانطلاق من جديد في حياتها.
لذا قالت لسام وهي تبتسم:
«تعال حبيبي، فلنرقص الآن.»
رقصا ساعات وساعات ثم بعدها تناولا عشاء فاخراً بعدئذ عاد الاثنان الى غرفتهما منهكي القوى.
تلك الليلة لم يغمض لها جفن. باتت مستيقظة تفكر في ما آلت اليه الأمور. كانت تبكي بكاء الفرح والحزن معاً وتمسك بيده تضعها فوق شفتيها ثم تقول:

«احبك، وسأبقى احبك حتى آخر يوم في عمري. انت حبيبي وسأعوضك ما فاتك من حنان.»
في صباح اليوم التالي. كانت تجلس معه في غرفة الطعام يتناولان قهوة الصباح مع رقائق الجبنة الشهية ويتبادلان اطراف الحديث حول ما ينتظرهما في موطنهما.
مرت الايام بسرعة. وغدت كريسيدا متلهفة للعودة الى بيتها الجديد الذي ستعيش فيه مع حبيبها سام. عرفت ان اشياء كثيرة تنتظرها من الرسائل التي كانت تستلمها من والدتها، مثل الكهربائي الذي قدم ولم يجدها ومهندس الديكور الذي تعود ان يقوم بعمله من دون ان ينهيه واشياء يفتقد لها المنزل ووالدتها التي تنتظر قدومهما بفارغ الصبر.
«انظري حبيبتي، حين تأخذين عطلة يوماً عن العمل، يتعطل كل شيء ولا يمكنك الاعتماد على من يحل محلك. العمال والعمل اصبحا امرين في غاية الصعوبة.»
«لو تعرف اني متكدرة جداً، لكن ليس بسبب اعطال في المنزل.»
اقترب منها يقبلها ويضمها بحنان . كانا جالسين امام حوض السباحة التابع للفندق. فهما عادة يأتون للسباحة بعد الغداء حين لا يأتي احد للسباحة وقت الظهر، فمعظم نزلاء الفندق يستريحون في غرفهم.
استلم سام رسالة من والدته تخبره فيها

www.elromancia.com

متذمرة اخبار تزعجها. فزوجها غاي لم يرض مطلقاً ان يهديها هذا العام خاتماً مرصعاً بماسة سوداء واكتفت بخاتمها الماسي الذي اشترته في السنة الماضية. لم يهتز كثيراً لسماع ذاك الخبر لانه يعرف تماماً كم من الصعب جداً جني وتوفير المال، وكم سهل امر هدره.كانت الرسالة مؤلفة من صفحتين وكلها تتكلم فيها عن نفسها.

اما كريسيدا فقد قرأت على مسمعه رسالة ظريفة وصلتها من اخيها.

«عزيزتي السيدة بول (ها، ها)،

ارسل لك اجمل التهاني، آملاً ان تكوني قد استمتعت خلال شهر العسل بشمس دافئة. والدي يعاني الزكام نظراً للبرد والرطوبة. اخبري سام ان فريق يوركشاير قد تغلب على الميدل سكس في منطقة لوردس. واذكره بأني لست من هواة لعبة الـ كريكت ، المتحمس لها.

مع محبتي سيمون»

هتفت كريسيدا:

«ارى انك ستصبح صديق سيمون الدائم لما يجمع بينكما من حب لهواية الرياضة. لا شيء من رسالته تفرح القلب. لم تعجبني تلك العبارة التي تتكلم عن الزكام الذي اصاب والدي.»

اجابها:« لا اظن ان الأمر خطير،تغيير الطقس هوالسبب.»

اجابته قائلة:

« اشعر بحسرة حيث انعم بدفء الشمس هنا وعائلتي تعاني من البرد.»

صمت سام مفكراً ثم اشعل سيجارة.

«هذه احدى الاشياء التي تعجبني فيك حبيبتي، انك تفكرين في سواك وخاصة بوالديك.»

استدارت نحوه وقالت:

«لم اكن على هذا النحو في يوم من الايام. مجرد فتاة انانية لا تفكر الا بنفسها. لطالما كنت اقلق لأمرسخيف ولا اعرف طاعة لوالدي. كما اني افتقدت للعاطفة في صغري ولم اكن ارغب حينها بتقبيل او عناق احد. لم اعرف ما كان يعتريني آنذاك.»

«على ما اعتقد، مررت بما يمر فيه كل مراهق من عمرك.»

شعرت بأنامله تداعب عنقها الطويل بحرارة وعطف.

«الطقس حار هنا، فلندخل ونرتاح قليلا.»همس في اذنها.

فكرت وهي تمشي بجانبه، انها نادمة على الوقت الضائع الذي صرفته من دون ان تكون معه.

في آخر يوم لهما على الجزيرة، استقلا سيارة اجرة حيث قاما بزيارة اماكن معينة وبجولة حولها استغرقت لساعات طويلة.

«علينا القيام بجولة للتمتع بالمناظر الجميلة التي تشتهر بها هذه البلاد، كي نقص عليهم عند عودتنا

قصصاً عما شاهدناه لا نستطيع القول اننا بقينا في غرفة الفندق وعند حوض السباحة لمدة اسبوعين كاملين.»

وافقته الرأي، وانطلقا مستمتعين بجولتهما. زارا مرفأ البحر حيث تجمع الناس هناك ثم قصدا منطقة تلقب بـ كولوراجادا ومن بعدها الى بورتو بونسا كان سام يعرف شخصاً يسكن في نيروبي ثم بعد ذلك استقر في بولنسا مع زوجة نمساوية وابنة جميلة في منزل متواضع صغير حولاه فيما بعد الى كوخ رائع. امضيا وقتاً جميلاً اثناء زيارتهما لتلك العائلة. حل المساء ولم يعودا الى الفندق بعد.

انطلقا في السيارة يتجولان في قرى تقع قريباً من شاطىء البحر ذكرها صديقه له في مجمل حديثه. فجأة ظهر امامهما ازدحام سير، فأوقف السيارة وانتظر لبعض الوقت. نظر حوله فرأى امرأة واقفة على جنب الطريق تبكي متكئة على كتف شرطي وتصرخ من حين الى حين.

في تلك الاثناء، ترجل سام من السيارة، ليستطلع الامر، وحين عاد بدت كريسيدا متوترة بعض الشيء تسأل ما الخبر.

فقال:«يبدو ان شجاراً قائماً بين فتاة وبعض الشباب المجتمعين هناك.»

سألته:« ماذا حدث؟»

«يبدو ان الزفاف المرتقب قد تحول الى مأتم اثر محاولة قام بها خطيب الفتاة للنيل من شاب حاول التحرش بخطيبته. فقد قام بقتل الشاب والفتاة معاً. وقد حدثت تلك المأساة منذ ساعات قليلة. تلك المرأة المسنة التي تبكي هناك هي والدة العروس على الارجح. تقاليد اهل هذه البلاد غريبة وتختلف عن مفهومنا للعادات.على كل حال، قتلت الفتاة وانتهى الامر.»

كان احد المارة قد اخبر سام على تفاصيل الحادث المريع. نظر الى كريسيدا، فوجدها تنظر حولها هائمة شفتاها ترتجفان ووجهها شاحب. بادرها:

«هل ازعجتك بقصتي حبيبتي. تبدين مستاءة. لماذا؟»

هزت رأسها بامتعاض ولم تجب على سؤاله، بل قالت:

«اعطني سيجارة.»

«انك تدخنين الكثير من السجائر، حبيبتي.»

لم تعلق على ما قاله، بل اشعلت سيجارة ثم اردفت:

«على من تحزن، على الفتاة ام على قاتلها؟»

«اعترف ان الذنب يقع على الاثنين معاً. هذه التقاليد البشعة ستتبدل حتما في يوم من الايام.»

عادت وسألته:« هل تعتقد ان القاتل له الحق بقتل الفتاة؟»

www.elromancia.com

«لا، ابداً... انه لعمل اجرامي بكل معنى الكلمة.»
عند حلول الظلام الذي اضاءه نجوم متوهجة حيث البحر بدا أزرق فضياً هادئاً،رجع سام بزوجته مخلفين وراءهما قرى صامتة ساذجة علقت في اذهان اهلها قصصاً وأساطير. الا ان كريسيدا لحساسيتها المرهفة، احست بتوعك بعض الشيء.
جلست كريسيدا تفكر في ما حدث لتلك الفتاة المسكينة التي ماتت وانتهت حياتها. لكن سام هدأ من روعها معلقاً:
«انظري، يبدو انها لم تكن مخلصة له والا ما كان ليقتلها.»
«اذاً تعني ان ما حصل هو من سوء حظها.»
«لا اعني ذلك، فالشاب قد تأثر ايضاً والقرية بأجمعها.»
امسك بيدها يضغط عليها بلطف وقال:
«يداك ساخنتان، حبيبتي. دعيني اضع يدي على جبينك لاتفقد حرارة جسمك.»
«لا داعي. اشعر بالبرد لا اكثر.»
ثم ما كان منها الا ان افلتت يدها من بين يديه.
«حسناً، دعينا لا نعود الى تلك القصة المحزنة. لم يتبق من شهر العسل سوى هذه الليلة.»
وافقت على مضض غير ان ظنون الماضي وهواجسه بقيت تطاردها فسألت وهي تشعر بالتوتر من جديد:

«ماذا كنت قد فعلت، لو انك وجدت عروسك مع شخص آخر؟»
نظر اليها طويلاً وهو يداعب اصابعها الطرية ثم اجابها بكياسة:
«حقيقة، لست متأكداً من الجواب لأنه تحت ظروف ضاغطة كهذه، لا تعرف النتائج.»
«صحيح، لكن في مثل هذه الحالة، لا تطعن فتاة صبية في ظهرها بخنجر.»
ضحك طويلاً واجابها بعد قليل:
«حبيبتي، احسب ان القصة هي عبارة عن غيرة لا اكثر.»
«لكن سؤالي، كيف تتصرف في حالة كهذه؟»
«اقول لو ان الفتاة كانت بريئة، لما كانت وصلت الى ما وصلت اليه، لكن يبدو ان في الامر مشكلة، وبالنسبة الي، اعتقد ان المسألة ستؤثر علي حتماً، فأغضب واكتئب.»
«هل هذا كل ما في الامر؟»
«حبيبتي، حقيقة الامر، اني لا افهم النساء! حين اشعر برائحة خيانة في مسألة ما افقد ثقتي بالشخص الآخر تماماً. اما في مثل هذه الحالة،فقد اغضب على حظي الذي حدا بي للتعرف اليها. ما يؤلمني، ان اعرف. انها خدعتني وانا معها، اما ماضي الفتاة فهذا أمر لا يعنيني. لكن الكذب امر لا اتهاون فيه.»
مسحت كريسيدا وجهها بيدها. كانت تتصبب عرقاً،

www.elromancia.com

واحست بضيق. عرفت حينها انه اذا عرف تفاصيل قصتها مع دومينيك سوف تتفاقم الاشياء فيفقد ثقته بها ويحدث شرخ كبير ما بينهما لانها كذبت وراوغت.

«لست متزمتاً الى حد الجنون، لكني محافظ واتحفظ على مسائل كهذه. لو علمت ان صديقتي مثلاً كانت على علاقة مع احدهم قبل ان تتعرف الي سوف انزعج، لكن افضل الزواج من فتاة ليست على علاقة سابقة بغيري.»

تصورت كريسيدا ان الأمر اصبح صعب المعالجة. كيف يمكنها ان تفضح سرها عن دومينيك؟ وفكرت، سام. لو انك لست صديقاً لدومينيك، وتحترمه الى حد كبير، ولو ان دومينيك لم يظهر في وقت غير مناسب. هل كنت ..؟!

من الصعب ايجاد الحل لمشكلتها، ولأنها تحب سام اصبح متعذراً عليها البوح بحقيقة الأمر. وهو بدوره يعتبرها فتاة مخلصة ووفية. هنا بدأت المشكلة.

اراد سام الانتهاء من تلك القصة المضجرة وانتقل للحديث عن رحلة العودة الى الوطن. كانت تستمع اليه باهتمام وبات همها الوحيد تلبية أوامره.

آخر ليلة من ليالي شهر العسل توجت بأشواق وحب كبير. غدت العواطف مشتعلة كالبركان

بين عناق وقبل. لكن حين قبل كف يدها قال: «ارثي لحال ذلك المسكين الذي لا يزال رهين السجن بسبب تلك الفتاة. يا لي من شاب محظوظ!»

www.elromancia.com

الفصل التاسع

وعاد الاثنان من شهر العسل مغتبطين ذات صباح من شهر آب (اغسطس) فبدت لهما لندن حزينة كئيبة تغطيها غيوم رماديه. تذكرا حينها شمس مايوركا الدافئة بحنين وحب.

بات عليهماالآن، المكوث في منزل اهله ريثما يتم تجهيز منزلهما. لم ترق لـ كريسيدا الفكرة وفضلت البقاء في منزل اهلها لكن نزولاً عند رغبة سام وافقت على مضض.

حدق سام بها طويلاً ثم طبع قبلة على يدها وقال: «لا تحزني حبيبتي، غداً نسافر الى مكان آخر ريثما تيسر الامور المادية.»

بادرته:«كم تملك من المال، سام؟»

اجابها:« اعتبر نفسي، منتمياً الى الطبقة الوسطى في المجتمع. لدي بعض المال سأنفقه على مستلزمات المنزل وما شابهها من امور في اطار عملي. ستشعرين بأن الاشياء صعبة بالنسبة اليك، لكن يمكننا تدبر المسألة. انت تعملين في المنزل وانا اعمل خارجه. تعرفين، هناك مصاريف كثيرة تنتظر كاستقبالات افراح ورياضة في ناد وهدايا ودعوات عشاء. كلها تتطلب مالاً. »

قالت :« سأساعدك على تخطي تلك الصعاب. سأقوم بتوفير كل قرش ونبني هذا البيت معاً. تبدلت تلك

الايام . كانت والدتي توفر ما استطاعت من اجلي ومن اجل اخي. والدتك تبدو مسرفة تهتم بالاصحاب والسهرات والماس والفراء الثمين وما الى ذلك.»

اجابها قائلاً:« لا تيأسي، سوف اعمل بجد كي اوفر لك السعادة. سأعتمد على نفسي فقط لأني لا اريد الاعتماد على امي في توفير طلباتي.»

ثم عادت ذكريات شهر العسل تتراءى امام مخيلة سام. وبادرها :«ألم اسعدك اثناء شهر العسل للحظات وجيزة؟»

«بلى. ايام وليال حقاً جميلة. كل شيء كانِ رائعاً. وانت ما احلاك عاشقاً ولِهاً كما زوجاً حبيباً.»

تنهد مرتاحاً لا يصدق انه اصبح رجلاً لديه مسؤولية منزل وزوجة.

في بعض الاحيان كان يحس بها كئيبة حزينة ومزاجها في اسوأ احواله، ثم ما تلبث ان تصبح اكثر فرحاً ولطفاً.اغضبه ذلك الأمر وجعله يفكر في مشاكل قديمة تراكمت منذ طفولتها وتركت اثرها في نفسها. قرر العمل جاهداً ليؤمن لها الاستقرار والرفاهية منذ تلك اللحظة.

بعد زيارة تفحص لمنزلهما توجها الى منزل والدته. كانت تمطر بغزارة، وقفا امام الباب ينتظران وبدت كريسيدا بأجمل حلتها كانت تشع فرحاً وجمالاً.

استقبلتهما فتاة سمراء اللون تعمل لدى فراني وتعجب سام اذ رآها. وافتكر والدته للتوّ، التي تبدل خدامها كما تبدل ثوبها في كل يوم.

دار حديث بين سام وتلك الفتاة. كانت تتكلم الاسبانية والانكليزية معاً. وشرحت لسام ما اصاب السيد غاي من وعكة صحية بلكنة غريبة، عرف حينها سام ان خطباً ما قد حدث في المنزل.

قال:« اذهبي انتِ هات الحقائب وانا اتفقد امي وعمي.»

وبعد ان تفقد عمه عاد الى كريسيدا حزيناً وقال:

«لقد تعرض زوج امي البارحة لانسداد شرياني في قلبه. وجهه اصفر شاحب وشفتاه زرقاوان وحالته لا ترضي.»

في تلك الاثناء ظهرت فراني بأناقتها وحسن هندامها وقد عقدت في شعرها شالاً من حرير وقامت تستقبل العروسين بالترحاب لكن بدا على وجهها التعب. بعد ان قبلت سام، بادرته:

«شكراً على قدومك بالسرعة اللازمة فقد عانيت كثيراً وقضيت الليل الى جانبه وانا اشعر بالقلق. لقد تم نقله البارحة الى المنزل على آخر رمق. وبعد ان كشف عليه طبيب القلب، اشار بوجوب نقله الى المستشفى مخافة ان يصاب بأزمة قلبية اخرى. لكنه رفض مغادرة المنزل وهو الآن في سريره كما ترى.»

«يسرني انك لم تنقليه الى المستشفى في سيارتك، والا كان قد قضي عليه، ربما من الافضل إبقائه في المنزل هنا بدلاً من المستشفى.»

«علينا بإرساله الى المستشفى للعلاج. من الصعب

علاجه هنا والخادمة قد تتعرض لمزيد من المتاعب.»

قالت فراني ذلك غاضبة.

اشعلت كريسيدا سيجارة واخذت تفكر في امر ذلك المسكين الذي سيقضي ضحية استهتار هذه المرأة القاسية القلب.

جلسا لتناول عشاء خفيف مع والدة سام. ودارت احاديث شتى من ضمنها الحفلة التي كانت ستقام في النادي والتي الغيت بسبب مرض زوجها وعطلة نهاية الاسبوع التي كانت الترتيبات من اجلها قد تمت للسفر الى البرتغال قد تأجلت. وان فراني بدأت بالبحث بمساعدة الطبيب المعاين عن ممرضة تهتم بأمور زوجها. ومن خلال حديثها تبادر الى ذهن كريسيدا كم عانت والدتها على اثر مرض ابيها وهي التي حوّلت المنزل الى مستشفى وتفانت في خدمته.

سأل سام والدته:«هل تريدنني ان اساعدك بشيء يا امي؟»

التفتت فراني نحو كريسيدا وقالت:

«تبدين سمراء عزيزتي كريسيدا بعد تلك الرحلة.»

مرض زوجها لم يبدل من عاداتها واناقتها المعهودة

ثم تابعت:

«هل ستبقيان هنا لمدة طويلة؟»

«ليلة واحدة أمي، لا نود ان نكون مصدر ازعاج لزوجك. على كل حال، سوف نذهب غداً الى كوفولد.»

«متى ستعود الى مكتبك؟»

«الاثنين على ما اعتقد.»

«يبدو لي ان بقاءكما هنا لبضعة ايام سيريحني. زوجتك بامكانها المساعدة مع نينا هنا... تعرف سام، الشغالات في مثل هذه الايام يتعذر الحصول عليهن، ونينا لديها الكثير من الاشياء لتقوم بانجازها. السيدة أيستمن لا تستطيع مساعدة، نينا، فهي تقوم باعداد وجبات الطعام وتسير الأمور جيداً.»

«لا، والدتي. اظن اننا سنرجع الى منزلنا لنأخذ قسطاً من الراحة. ليس باستطاعة كريسيدا القيام بما تقولينه. لديك هنا مجموعة من الخدم ويمكنك البحث عن ممرضة لزوجك.»

قالت والدته بحزن:

«لكن السيدة ايستمن قالت انها لا تستطيع ان تطهو الطعام للممرضة، انت تعلم ان طعام الممرضات يختلف عن طعامنا، فهن يعتمدن طعاماً خفيفاً للريجيم.»

اجابت كريسيدا بلطف:

« سنبقى ان شئت لبضعة ايام. الا توافق، سام؟»

«انك متفهمة جداً.» تمتمت فراني بصوت خافت. رأى سام ان الامور ستنتهي فيما بعد الى اسوأ، فقد فضل عدم البقاء نظراً لأن عروسه قد عادت لتوها من شهر العسل وعليهما استقبال الزوار والاقارب.

اقتربت فراني من ابنها وربتت على كتفه. واصرت على موقفها. فهي تريد كريسيدا ان تبقى لتحل محلها في ادارة شؤون المنزل.

«لا عليك، بني. لقد قضيتما معاً اسبوعين كاملين. ان شئت اترك زوجتك هنا واذهب الى عملك.»

بعد الغداء، في غرفة النوم بادر سام زوجته:

«ارى انك تسرعت في اتخاذ القرار. فأنا لا اريدك ان تعملي في هذا المنزل،انت لا تفهمين فراني مثلي، انها تقضي الليل ساهرة، قلقة تعتريها هواجس. انها لا تهتم الا بأمورها الخاصة. فلتهتم بنفسها وبزوجها المسكين ولو لمرة واحدة.»

اجابت كريسيدا:«لا ارى من مانع في البقاء طالما الامر يعجبك.»

غمرها وقبلها قائلاً:

«عزيزتي انت رقيقة القلب طيبة وتحبين المساعدة. اذاً سنبقى ليومين لا اكثر.»

«يمكنك الذهاب غداً الى كوفولد لتهتم بأمور المنزل، عندها يمكننا الذهاب الى هناك متى شئت.»

اجابها مغتبطاً:«اكاد لا اقوى على الانتظار.»

عملت كريسيدا ما في وسعها من اجل الحفاظ على النظام في منزل فراني، حيث قامت بتنظيم وقت الطباخة والاشراف على وجبات الطعام ثم استقبال الضيوف والاهتمام ولو من بعيد بالسيد غاي المريض.

اتصلت كريسيدا بمنزل والديها واطمأنت على صحة والدها. وعرفت من والدتها ان اخاها سيمون بألف خير وكل شيء على احسن حال.

تمنت كريسيدا مبارحة المكان بأسرع وقت ممكن،

لكن بعد ان اشارت عليها والدتها بعدم المثول لأوامر فراني المستبدة اطمأنت وهدأ بالها.

بعد ظهر ذلك اليوم وفيما فراني تقوم بزيارة تقليدية لدار من دور الايتام، صعدت كريسيدا تتفقد غاي وتطمئن الى راحته. وفجأة اذ تطلعت وجدته مرمياً على الارض وقد فارق الحياة. نادت سام على الفور، الذي اتصل بالطبيب. حين حضر الطبيب للمعاينة كان قد وصل متأخراً. حين وصلت فراني هرعت مسرعة الى الغرفة على اثر خبر وفاته.

بكت فراني تأثراً وهي تقول لسام:

«يا لحظي التعيس بعد ان فقدت والدك ها أنا الآن امام نفس المصيبة. من سيهتم بي بعد اليوم.»

بدأت كريسيدا تهدىء من روع فراني المدللة التي ارتمت على الاريكا تبكي وتنوح ثم تهوي على كريسيدا باكية من شدة التأثر قائلة:

«ليتني لم اتزوج ذلك العجوز الاحمق، ها انا قد اصبحت ارملة معدمة!»

بادرتها كريسيدا قائلة:

« عليك بأخذ قسط من الراحة. اذهبي الى غرفتك استريحي.»

« لا استطيع البقاء في غرفتي لوحدي فهي متصلة بغرفة غاي.» ثم اجهشت بالبكاء.

قالت كريسيدا: «يمكنك الراحة في غرفتنا، فهي بعيدة عن غرفة غاي.» وساعدت فراني على النهوض والذهاب الى غرفتهما وساعدتها بتغيير ملابسها.

نزلت كريسيدا الى الطابق السفلي وأمرت باحضار الشاي. لكنها دهشت حين رأت السيدة ايستمن تبكي على السيد غاي، قائلة:

« اني متأكدة ان السيدة فراني تبكي الآن تظاهراً بانتظار الحصول على ارث دسم.» تابعت تقول وكريسيدا تصغي باهتمام:

«يا لها من امرأة طائشة مجنونة. تركت ذلك العجوز ليلفظ انفاسه، وخرجت مع اصحابها وهي تتمتم لا استطيع البقاء اليوم مع جثة في هذا المنزل.»

قالت كريسيدا:«لا يمكنك التحدث عنها بهذا الشكل يا سيدة ايستمن.»

حاولت كريسيدا تهدئة السيدة ايستمن فقامت بإعداد الشاي بنفسها ثم اتجهت الى غرفة فراني.

على الفور اتصل سام بطبيب زوج امه الخاص السيد كريسبن الذي صدم لوفاة غاي واكد لسام ان وفاته أتت صدمة اذ انه لم يكن يحس بمرض في يوم من الايام. وبعد ان اخذ وصفة مسكن لوالدته جلب لها الدواء واطمأن الى نومها العميق.

بعدئذٍ جلس مع كريسيدا يتناقشان في مجريات الامور شارحاً لها ما قام به من ترتيب للمنزل من كهرباء وتصليحات وغيرها. رأى زوجته متكدرة الى حد ما اذ طلبت العودة الى كوفور بعيداً عن مشاكل ذلك المنزل. لكن سام ربت على كتفها قائلاً:

« لا يمكننا المغادرة الآن حبيبتي. والدتي تحتاج الينا، فلنتريث قليلاً.»

ارتدت فراني ثوبها الاسود وقبعتها السوداء استعداداً لاستقبال المعزين . وعرفاناً اهدت كريسيدا سواراً ماسياً كانت لا تزال تحتفظ بها هدية لها من والد سام.

تمنعت كريسيدا عن قبول تلك الهدية بلطف ثم قبلتها فيما بعد لأنها ستسعد سام.

بعد الانتهاء من مراسم الدفن عادت العائلة الى المنزل مع محامي وصديق العائلة السيد نيجونت ودخلوا الى الصالون الكبير حيث ستتلى وصية السيد غاي.

بدأ السيد نيجونت بالقراءة قائلاً:« تعلمون جيداً ان غاي رجل ثري. وعلى ما اظن، فالسيدة فينيل ستتأثر عقب ما ستؤول اليه الامور.»

نظرت اليه السيدة فراني بتعجب وهي تقلب محرمة في يدها.اخذت نفساً عميقاً ثم بادرته قائلة:

«لا افهم ما تعني.»

قال:« للسيد غاي فينيل شقيق اصغر منه وقد توفي منذ عدة سنوات وبعده بقليل توفي والده، فحصل غاي على الارث. بعض المال المنقول وغير المنقول كان بحوزة الرجل. على الاثر تزوجت والدته من السيد جورج بيكرانغ الثري الذي كان يعمل في تجارة الخضار في موطنه ميدلاند. بقي امر زواجها سراً نظراً لما كانت تتمتع به من لقب وثراء اثناء زواجها الاول. بعد سنوات توفي السيد بيكرنغ تاركاً مبلغاً يسيراً من المال لزوجته وابنها غاي. وحسب

الوصية القائمة، على غاي بعد وفاته تجيير الثروة لعائلة بيكرانغ التي تتألف من ثلاثة اشخاص، يعيشون في برمنغهام . اثناء المدة التي قضاها السيد غاي مع زوجته فراني، لم يبح خلالها بان الثروة لن تعود اليها. لكن لم ينس قبل وفاته ان يترك لك سيدة فينيل مبلغاً من المال وان كان ليس يسيراً فباعتقادي يغطي مصاريفك الشهرية.»

نظر سام حائراً الى والدته التي كانت ترتجف غضباً ورثى لأمرها شاعراً بغصة حيال ما حصل. اما كريسيدا فقد تمنت حينها مبارحة المكان هرباً مما سمعته . لكن لم تستطع الهروب بعيداً لأن الواجب يحتم عليها البقاء حيث هي والمساعدة. كان قد حضر في ذلك الوقت عدد من الضيوف المغزين، من بينهم اثنين من اعمام غاي الفقيد وعدد من الاصدقاء من بينهم السيد رفينغتون وكولن اللذين ابديا اسفهما للسيدة فينيل التي لم تصدق ما فعله زوجها بحقها.

شرعت تبكي وتشرح لابنها انها تزوجته طمعاً في ماله وليس حباً به، لكنه خدعها بسلبها حصتها من الثروة العائدة الى عائلة بيكرانغ.

عاد المحامي يقرأ على مسامعهم ما عرفه من تلك الوصية قال:

«الوصية تقول ان الثروة هي ملك لعائلة بيكرانغ فقط لا غير وقد استفاد منها غاي خلال فترة حياته اذ كان محظوظاً جداً.»

امتعضت فراني وانفجرت غاضبة:«لقد خدعني طوال فترة زواجنا. بماذا ينفعني ذلك المبلغ الضئيل؟ علي الآن بيع المنزل والسيارة وكل ما املك كي افي ديوني. لم اتخيل قط ان غاي يمكن ان يفعل هذا بي.»

شعر المحامي بأسى لما حصل، خاصة انها ساعدته منذ سنين بإعطائه مبلغاً من المال ليس باليسير لانه كان على وشك الافلاس.

حزن سام لدى سماعه تلك الاخبار، وحاول مؤاساة والدته. فضمها الى صدره وهو يقول لها:«ارجوك، هدأي من روعك، لا اعتقد ان غاي على علم بما كان سيحصل بعد وفاته. لكنه خطأه انه لم يقل شيئاً عن عائلته او عن الارث.»

بكت الى ان شعرت بإرهاق كبير.كان ابنها يحاول التخفيف عنها بقوله ان غاي لم يقصد الاساءة اليها.

دفعت ابنها عنها وهي تقول بغضب:«لا تحاول تبرير تصرفاته.»

جلست كريسيدا صامتة لا تدري ما تقول. تنظر الى اصدقاء فراني وهم يحاولون تهدئتها بشتى الوسائل وهي تصرخ باكية في وجه طبيب العائلة السيد كريسبن. في وقت متأخر من تلك الليلة، وبعد ان نامت فراني، خرج سام وكريسيدا للتنزه والسير قليلاً في احد الشوارع القريبة.

دار الحديث عن الذي حصل في المنزل. فقال لها معتذراً:«حبيبتي، انني اعتذر منك عن الشيء الرهيب الذي حصل اليوم، انها صدمة لنا.» بدا سام متوتراً

ومؤنباً والدته التي اساءت التصرف خلال السنوات الاخيرة ولم تهتم بغاي العجوز مطلقاً.

«تضايقني حقاً بماديتها وحبها للسلطة والمال. ليت العالم يتحول الى جزيرة نائية من جديد. لكن العم غاي، كان عليه مصارحتها بشأن ما يملك من ثروة ويوضح لها الأمور. »

اجابت كريسيدا:

«لكن بظني ان مبلغ الف باوند شهرياً لا يستهان به. انه يعجبني ربما لأني لست غنية مثلها وغير متطلبة.»

نظر اليها نظرة اعجاب وشكرها على حسن معاملتها لوالدته.

اجابها:«لكن ماذا سيحل بوالدتي الآن. ستبيع كل ما تملك وتصبح بلا الماس ومعاطف فراء. ما العمل قولي؟»

«ارى ان عليها العيش معنا، فالمنزل يتسع لثلاثة.»

«كلا، حبيبتي، دعينا لا نأتي بالمشاكل وفراني الى هنا. والدتي لايروق لها العيش في الريف ولا تحبذ الحياة البسيطة.»

كانت كريسيدا تفكر في الوضع المأساوي الذي توصلت اليه فراني وبمصيرها السيء. فهي حتما ستحتاج الى المزيد من المال كي تغطي حاجاتها وستشكل عبئاً ثقيلاً على ابنها سام.

طوق سام خصر زوجته بيديه الاثنين وقربها منه. ثم قال:

«تعالي نذهب الى بيتنا حيث الهدوء التام. لقد تعبت كثيراً عقب قدومك من شهر العسل ويكفيك ما مررت فيه حتى الآن.»

اجابت قائلة :« يمكنني تحمل المزيد.»

قال:« احبك بكل قواي .»

اجابت:« وانا احبك ايضاً.»

وفجأة سمعته يقول:« بالرغم مما حدث علينا العودة الى منزلنا انا اعلم ان والدتك سوف تقدم المساعدة. اما انا فسآتي يوماً بعد يوم الى هنا، لاني سأكون منهمكاً بوالدتي التعيسة الحظ. ما رأيك ان نتصل بـ دوم العجوز نسأله القدوم الى هنا كي يساعدنا في بعض امور المنزل؟ قد يطيب له ذلك.»

تجمدت في مكانها وابتعدت عنه قليلاً، قائلة:

«لا، لا اريده معنا، والدتي واخي يكفيان.»

لم يلاحظ سام دهشتها وتابع قائلاً:

«انت لا تتفهمين الامر جيداً. علي في الايام القليلة المقبلة البقاء بجانب والدتي لترتيب بعض الامور. ولايجاد من يحل مكاني.

في بادىء الأمر، علي الاتصال بالسيدة ويلكنز ابنة عم والدتي. أمي لا تستهويها لكن وجودها معها في مثل هذا الظرف الزامي... يمكن الاعتماد عليها للتكلم مع المحامي بخصوص التركة حيث يمكن الحصول على المزيد من المال. بالاضافة الى التقصي عن امور اخرى منها مسألة التأمين وغيرها.لأن هناك فواتير مستحقة تنتظر.»

صغت كريسيدا اليه وتفكيرها منشغل بدومينيك الذي يجب التخلص منه بأسرع وقت وابعاده عن منزلها. اختلطت الامور عليها وباتت لا تدري ما عليها فعله وعاودتها الكآبة من جديد.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

صباح ذات يوم ماطر وغائم من ايام ايلول (سبتمبر الكئيبة، نظرت كريسيدا من نافذة منزلها فرأت الازهار التي كانت منتعشة من قبل قد ذبلت وانحنت ووقع بعضها على الاحواض التي امتلأت ماء.

دخلت كريسيدا الى المطبخ تحضر طبقاً من السمك الطازج لزوجها سام. كادت تختنق من رائحة السمك لكن سام يحبه وعليها تحضيره له. عادة، كانت والدتها تساعدها في الطهي لكنها الآن مشغولة بتحضير حفلة لشقيقها سيمون واصدقائه بعد عودتهم اليوم من العطلة الصيفية.

قامت مدبرة منزلهما السيدة بارسلو بتنظيف الغرف في طابق منزلهما العلوي وبعد ان انتهت اخذت تخبر كريسيدا عن ابن ابنتها جاك حيث ولد من اسبوعين احب سام تلك السيدة للطفها واناقتها وحسن معشرها وكان يقضي معها دقائق من الضحك المتواصل.

كما كانت السيدة بارسلو تتحدث عن خصاله الحميدة لجيران الحي وانها احبت ذلك البيت.

استقرت كريسيدا في منزلها الجديد وكانت جداً مغتبطة، لكنها كرهت الطبخ . كانت سعيدة بما لديها وقد شغلت نفسها بترتيب المنزل.علقت ستائر جديدة

واهتمت بالحديقة يساعدها سام بقلع الاعشاب وتشذيب الاغصان الى جانب تسوية ديكور المنزل.

كان حي دوريانس من الاحياء الراقية التي سكنتها عائلات عريقة منذ اقدم السنين. اما بريغتون التي يقع فيها ذلك الحي لا تزال ماثلة للعيان حتى يوم سكنها سام وزوجته.

بعد تلك الاعوام التي مرت. سكن المنزل الذي يقيم فيه سام وكريسيدا امرأة متقدمة في السن لمدة اربعين عاماً وها هو الآن يعود هذا المنزل الى عائلة اخرى تقوم على إعادة ترميمه واصلاحه كي يتماشى مع نمط العمارة الحديث.

كل تلك السنين ومتانة المبنى لا زالت كما كانت فيما عدا اصلاحات طفيفة طرأت على المطبخ وحمام الضيوف اضافة الى غرفة جعلاها مكان استراحة. مكان جميل لا يعكر صفوه سوى ما خلفه موت السيد غاي.

كان يقضي سام ايام الاسبوع في دار والدته يهتم بشؤونها. وفي عطلة نهاية الاسبوع، يعود الى منزله ليأخذ قسطاً من الراحة بعد تعب متواصل يقضيه في ترتيب شؤون تتعلق بوصية زوج والدته التي امست لا تطاق فعصبيتها قد ازدادت اثر ما حصل. مما جعله في ضيق مطبق.

ازدادت مخاوفه اثر مطالبة والدته بمنزل جديد في المدينة. لا سيما وقد باعت جميع مجوهراتها وحتى المنزل الذي يعود لـ غاي. بات الآن في حيرة من

امره، كون الشقق السكنية في المدينة غالية الثمن.
قص ما حصل على مسامع زوجته التي نهرته بعنف قائلة:
«لا اريد السكن مع والدتك بعد ما عرفته عنها.»
وافقها سام الرأي واتفق الاثنان على ان تسكن منفردة.
هواجس الماضي ما زالت تخيم على ذاكرة كريسيدا. الا انها شغلت نفسها بأمور منزلية تناست معها هواجسها لا سيما وان دومينيك قد غادر لبعض الوقت الى البرازيل على اثر ارتباطه بعقد عمل. وهناك متسع من الوقت كي يعود الى لندن.
بدأ سام يشعر بالارهاق نتيجة ما حصل في المدة الاخيرة وبدأت زوجته تستاء من الوضع.
كان على سام ان يهتم بأمور والدته من ديون متراكمة وانتقال من منزل الى آخر، وعليه فض الخلافات التي باتت قائمة بين فراني وكوت ابنة عمها المحامية اللامعة.
اصبح متذمراً حياته لا تطاق. فبات عليه مساعدة والدته مادياً وتأجيل رحلة قد وعد كريسيدا بها. لكن كريسيدا حافظت على هدوء اعصابها وتفهمت الموضوع برحابة صدر.
قام نقاش حاد بين الزوجين بسبب فراني. وبدا سام حزيناً.
قالت:« لا ارى ان عليك اعطاء والدتك المال، احوالها المادية جيدة وهي تأخذ راتباً شهرياً من العائلة،

انا اعلم انك ستقول لي هذه امي... اجل لكنها ليست بحاجة اليك.»
اجاب:« سأعطيها طالما انا قادر على ذلك. انها والدتي وليس من العدل التخلي عنها الآن.»
قالت:« لكنك تبدلت في المدة الاخيرة والحياة لا تطاق معك.»
قال:« عزيزتي، ما كان عليك ان تتزوجي بي. ديانا كما تقول والدتي كانت الانسب لي ولكانت اعانتني في محنة كهذه.»
وساد صمت خانق اذاك. حدقا ببعضهما والغضب يتطاير من عينيهما. كل المشاكل التي باتت مستعصية سببها فراني اللئيمة الجشعة. التي لا تعرف الشبع. فهي تحاول ابقاء سام معها لاطول وقت ممكن وايضاً تأخذ الكثير من ماله الذي يجنيه من تعبه. وها حل فصل الشتاء البارد وليس باستطاعتهما رأب الاعطال بسبب بذخها وترفها.
في اليوم التالي قررت الذهاب الى بيت والديها للاطمئنان عليهم. هناك تفقدت الحديقة وجالت بين الازهار المتفتحة العطرة. احست براحة واسترخاء لكنها لم تبح بما تعانيه لوالدتها التي علمت ان ابنتها قد تأثرت جراء ما جرى لوالدة سام. قررت كريسيدا اخيراً ان ما بينها وبين سام لا يمكن ان تلفيه مشاكل مادية مهما جرى.
بعد ان عادت الى منزلها قامت تهتم بهندامها وتستعد من اجل استقبال سام بحلة جديدة وابتسامة

مشرقة وهي التي ابتعدت عنه لفترة بعد شهر العسل. والآن اشتاقت اليه وستعوضه ما فاته من حب واشواق وفي الوقت نفسه ستعمل جاهدة كي تنسيه مشاكل والدته.

ارتدت فستاناً اصفر وانتعلت حذاء ابيض جميل عقدت شعرها الاسود الطويل في اعلى رأسها وتبرجت تبرجاً فاق الوصف. وقفت تعد طعام العشاء وبدت في احسن حالها في مطبخها الذي يلمع نظافة حضرت السمك بالمايونيز والى جانبه حساءً من ثمار البحر مع بعض الخضار المطهية، وجبة سام المفضلة.

كانت لا تزال تعد الطعام حين سمعت صوت محرك السيارة في الخارج. تلفتت فرأت سيارة مرسيدس بيضاء اللون تقف امام المنزل، ورأت دومينيك يتقدم نحو الباب بلباسه الازرق يومىء لها بمنديله الازرق. وقفت مذهولة وبادرتها احاسيس تراوحت بين الكراهية والحب. انها لا تريده ان يحضر اليوم، لا تريده ان يقتل العواطف التي حضرتها لزوجها فهي لم تكن تتوقع قدومه في تلك الامسية واختلط عليها الأمر.

«مرحباً كريسيدا. لقد اتيت لتوي من البرازيل. اتصلت بسام في مكتبه ولم اجده فقررت القدوم الى هنا كي أراك، اعتذر لعدم اعلامك بقدومي قبل الان.»

« تعال ادخل، تفضل.»

وقف صامتاً للحظة ثم جال بطرفه حول البيت

والحديقة وهو الفنان المأخوذ بكل قديم. فتنه منظر البيت بأبوابه الخشبية العتيقة وسقفه القرميدي الاحمر الداكن، واسترعى نظره إضاءة خافتة وضعت فوق الابواب. اما الحديقة الغناء فقد احاطت بها شجيرات الياسمين وأزهار التوليب بمختلف الوانها الزاهيه، ثم قال مندهشاً:«يا لهذه الحديقة الخلابة وهذا المنزل الرائع. ارى انك محظوظة اذ حصلت عليه.»

«نعم بالفعل فقد حصلناعليه صدفة، كان شخص آخر على وشك ان يشتريه. ثمنه باهظ جداً ويحتاج الى تصليحات جمة ولكننا نقوم بذلك تدريجياً.»

نظر اليها نظرة عرفت مغزاها فأدارت وجهها عنه ثم بادرته:«فلندخل، سوف احضر القهوة لنا وسيوافينا سام بعد قليل.»

«اتيت لآراك انت فقط. اتعلمين؟»

«دعك من تلك السخافة.»

«دخلا غرفة الجلوس وبدأت تقص عليه مصدر كل قطعة اثاث فرشت بها البيت. السجادات الثلاث الفارسية من بيت والدة سام والصوفا اتينا بها مستعملة اما الارض فقد فرشناها بالخشب المصنع والستائر الجميلة اخترناها باللون الاصفر الذهبي.» علق دومينيك قائلاً:«سوف لن تريني المنزل بأكمله على ما اظن يا قطتي الصغيرة.»

نهرته كريسيدا بشدة ثم طلبت منه ان يكف عن مناداتها بذلك اللقب.

جلس دومينيك على الكنبة واشعل سيجارة ثم قدم العلبة لها. رفضت اذ هزت برأسها غاضبة.

«آه كريسيدا، كريسيدا، لقد تبدلت حقاً. كنت في روما بسيطة جداً لا تهمك مباهج الحياة وعظمتها. اعلينا ان نظل نداري حبنا والى متى ؟! لما تضيعين الوقت في اشياء سخيفة تنتظرين قدوم سام وتجلسين تراقبين التلفزيون وتتلهين بقراءة قصص الحب وغيرها.»

«اني مقتنعة بما انا عليه وسعيدة مع زوجي.»

«من الصعب تصديق كلامك. تبدين الآن اجمل من قبل ببشرتك البنية وعينيك الخضراوين، لا بد ان شهر العسل وشمس الصيف قد اضفا عليك جمالاً باهراً... يتوجب علي رسمك من جديد. سيدة غوفلد... يا قطتي الصغيرة.»

«لم اعد قطتك بل قطة سام .»

«كريسيدا، لم احلم في يوم من الايام ان اتحرش بزوجة صديقي.قصدي بريء.»

«لست متأكدة جداً.»

«ولست بدوري متأكداً من حبك لي كما من قبل.»

«ليتك لم تأتِ الى هنا وتفسد علي حياتي. ما كان بيننا اصبح من الماضي ومضى. عليك الرحيل.»

تابع الضحك ساخراً.

«عزيزتي كريسيدا، ليس بقصدي ان اضايقك.انت تعرفيني جيداً منذ كنا في روما.»

«انت صديق سام الحميم، وشهدت على زواجنا، لماذا تتفوه بمثل هذا الكلام؟»

«ما رأيك لو علم سام بالامر؟»

«سام لا يعلم البتة بكلمة عن موضوعنا.»

«تعلمين اني لم اتفوه بكلمة بهذا الموضوع.»

توترت من جديد ولم تدري ما عليها قوله.

فقال دومينيك:

«دعينا لا نضيع الوقت بالتكلم عن الماضي، انت الآن متزوجة من سام، وهذا بيتك. وانا ضيف هنا هذا اذا كان مرحباً بي، فلنبقى اصدقاء فقط.»

«سام سيرحب بك صديقاً، اني واثقة من هذا الامر.»

مد دومينيك يده اليها وقال:«اصبحنا من الآن اصدقاء فقط.»

«في الحقيقة، لا استطيع الكذب، سوف لن نصبح اصدقاء.»

«من المضحك انك ارتبكت.»

«كلا.»

«حبيبتي، عليك بالحفاظ على اسمك بأن تخلصي له.»

«اسمي؟ لا اعلم ما تعنيه!»

«الا تدرين إلى ماذا يرمز اسمك «كريسيدا» ؟»

هزت برأسها ولم تدر ما عليها القول.

عرفت دومينيك انساناً مختلفاً غرّاً لا يناوره احد.

وقف يقلب اشياء الغرفة ويرتبها بذوقه الرفيع وهو يشرح لها مغزى اسم كريسيدا. قال:

«انه اسم قديم وينتمي الى اسطورة اغريقية تقول ان كريسيدا كانت ابنة لرجل في معبد ابولو المعروف

www.elromancia.com

بـ الحب والجمال. وقد خطفها اغامنون بعد ان احبها ثم اعادها الى والدها مقابل فدية من المال. وقد عرفت آنذاك باستهتارها وعدم اخلاصها لمن تحب.»استمعت كريسيدا لشرحه ثم اشاحت بعينيها عنه وقد شحب وجهها.

«اظن لو عرف والدي بالأمر لاستبدل اسمي باسم آخر. وما معنى اسم دومينيك؟ اعتقد ان معناه الاخلاص.»

«حبيبتي، لا تستهزئي... فهذا غير جميل منك. بالبرازيلية، تسميته دومنغو ويعود الاسم الى المحترم سان دومينيك.»

«يا له من اسم؟!»

التفت نحوها وقال ببرودة:«لقد تبدلت حقاً. ما رأيك بشرب كوب من العصير؟»

«سأقدم لك كوب عصير. لا بد سام في طريقه الى المنزل الآن.»

«هل اعددت طعاماً شهياً لضيفك الذليل؟»

«ابقى لو اردت. لست طاهية ماهرة كما تعلم. اتدبر الامر.»

«لم اطلب اليك في يوم اعداد وجبة لي. بل كنا نذهب الى تلك المطاعم الفاخرة حيث نفوز بوجبة لائقة وشراب منعش.»

عاشت حياة سعيدة من دونه. في غيابه تحولت حياتها الى صفاء على الرغم مما شابها من ذكريات مؤلمة. الآن انقلبت نعمتها الى نقمة وأيقنت انها

تحبه من صميم قلبها وليس بامكانها نسيانه. رأت ان بزواجها من سام، اصبح دومينيك اكثر تعلقاً بها.

احست بالضعف والغضب معاً وهي تقدم له العصير.لم يلاحظ ما خبأته من مشاعر عنيفة نحوه. اشعل سيجارة اخرى وراح يتمشى في الغرفة. وقف امام الزجاج البراق يمعن النظر في لوحة علقها سام فوق المدفئة، شغلت على القماش بألوان الزيت.

«آه، مرفأ البحر، اتذكره جيداً. لا تليق ببيتك مثل هذه اللوحة.»

بقيت صامتة، فيماحاول هو إعادة الذكريات التي كانت بينهما. تابع يقول:«اقول انها لفنان مجهول.هل من اختيارك او من اختيار زوجك؟ الوانها جميلة غير انها لم تشغل بمهارة. حاول من رسمها تقليد فان غوغ، الرسام العالمي الشهير ولم يفلح .

«انه ليس بالرسام الشهير الشاب. انها عمة سام التي رسمت هذه اللوحة اثر زيارتها المتكررة الى المرفأ وهي الآن متقدمة في العمر.»

ابتسم ثم قال:

«بعد ان انفصلنا اصبحت ملمة بجميع انواع الفنون. تلميذتي النبيهة!»

اجابته ساخرة:«حقاً!»

«لا تتظاهري بأني لا اعرف ما تحاولين اخفاءه عني. تتذكرين يوم كنا حبيبين.»

«اسكت.» ورمقته غاضبة.

ضحك قائلاً:«ما اجمل عينيك الخضراوين اللتين تشعان بالبريق حين تغضبين. هل يحبهما سام؟»

«يا لك من انسان مراوغ!»

«هل تحاولين اقناع نفسك بأنك لم تحبيني قط؟!»

«لم يكن في يوم من الايام حباً صادقاً.»

ضحك ثانية وقال:«عزيزتي،كم احترمك، كلمات تنطقين بها كاللؤلؤ. انك سيدة متزوجة الآن وتخافين من الماضي ومقتنعة بأن ما حصل كان خطأ.»

نظرت مندهشة وبعد ان وضعت كوبها على الطاولة قالت:

«ببساطة لا استطيع ان افهمك يا دومينيك. انا لا اخاف من الماضي لكني اؤمن بأن مستقبلي اجمل من الماضي.»

«هل نسيت تلك الايام؟»

«كلا، لكني لا اريد التفكير بذلك. انا احب سام ومتزوجة منه وهذا منزله. لا اعرف كيف تصف نفسك صديقاً له وانت تتكلم معي بهذا الشكل.»

«انت محقة في كلامك ولكنك تستفزيني.»

«يبدو انك غبي وغير مخلص لصديقك. هل تحاول حثنا على الانفصال؟»

«سوف لن اكون مصدر تعاسة لك حبيبتي. وستظلين كريسيدا التي اعرفها.»

تلونت خجلا وقالت:

«لو كنت تحبني لتزوجتني.»

وقف صامتاً للحظات ثم قال:«لا يعرف المرء قيمة الاشياء الى ان يفقدها.»

«أراك تتكلم الغازاً مبهمة .»

وراح يسرد اخباراً لا تنتهي.

«حين كنت في البرازيل كانت صورتك دائماً في مخيلتي خصوصاً وانت بفستان الزفاف الابيض تتقدمين بفرح نحو سام . ليتني لم ادعك ترحلين من روما ومن حياتي.»

شعرت بحرارة جسدها وانتفضت قائلة:

«لا اريد ان استمع اليك اذا بقيت تذكر اشياء كهذه .»

«متأسف حبيبتي لكنك تعرفين انني اهوى الصراحة.»

«وما الفائدة.»

رفع يده ملامساً خدها الاحمر الناعم.

«انت تملكين اجمل عينين من بين كل النساء. تعرفين اني لم اتركك واغادر الى البرازيل عن عبث فقد قصدت ذلك. لو ابتعدت قليلاً حينها وابديت هدوء اعصاب كما تبدين عليه اليوم ، لتمنيت ان اتزوجك وكنت فعلت. لكني انانى قاس واحب مهنتي كثيراً. اراك بعينيك الجميلتين تملكين شعوراً وعاطفة لا يمكنني تصورها.»

«حسناً. قد يكون ما تقوله صحيحاً، لكن لما تتكلم عن كل تلك الامور الآن؟»

«يمكنك تفسير الاشياء بنفسك يا قطتي الصغيرة.»

صمتت واحست ان قنبلة انفجرت. فتلك الاحاسيس

التي عرفتها في روما لم تكن في يوم من الايام صادقة الا ان هذه الساعة تتبين لها أشياء لم تدركها سابقاً وهي انها حين قبلها وضمها اليه آنذاك كأن بريقاً ساطعاً هدّ كيانها لمرة تلو الاخرى. وها هي الآن تقف مرتبكة حائرة وتخشى الانتظار.

تقدم منها وهو يقول:«اريد ان اقبلك.» تراجعت الى الوراء قائلة:«ارحل من هنا يا دومينيك، ارجوك اخرج من هذا البيت ولا تعود اليه ابداً.»

التفتت الى الحديقة فرأت ضوء ساطعاً يعكس اشعته. ايقنت ان سام قد اتى وسيصل قريباً الى المنزل. وضحكت ضحكة هستيرية رنّ لها المكان.

«دومينيك، انت تبالغ في ما تقول، ليس لديك فكرة كم انك مضحك. انا و سام نحب بعضنا وقد تزوجته الآن. فلا تقف بيني وبينه بعد اليوم. لم اعد احبك ولن احبك ثانية.»

لقد اقتنعت اخيراً بأن دومينيك بعقله المتهور وارادته القوية سيبعدها عن سام مهما حصل. وسيدمر حياته لا محالة

تراجع الى الوراء قائلاً:«لن اعلن عن شعوري نحوك مجدداً. وإذا كنت تفضلين، لن ابقى على العشاء، سوف اخرج قبل مجيء سام لكني لا اعدك بعدم العودة فعلاقتنا الجديدة الآن اراها منطقية وجيدة.»

«كلامك منطقي.» ليفعل ما يحلو له، اما هي فلن تؤذي سام فهو زوجها وتحبه.ثم بادرته:

«اني اسمع صوت محرك سيارة سام. لننسى روما لبعض الوقت ونسعى لتناول طعام العشاء بسلام ارجوك.»

وصل سام منهك القوى وما ان رأى دومينيك قال:

«علمت انك هنا اذ رأيت سيارتك الفخمة متوقفة في الخارج. يا لها من مفاجأة جميلة.»

اجابه:

« اتصلت بك لاعلمك عن عودتي الى المدينة لكني لم اجدك.»

«كنت مع والدتي، لديها بعض المشاكل. اعتقد ان كريسيدا قد اعلمتك بموت غاي وبما حدث من مآسي.»

«كلا، لقد وصلت منذ دقائق ولم نتكلم سوى قليلاً.»

قبل سام زوجته وغمرها مرحباً بها.

دخلت المطبخ تحضر العشاء مرتبكة وتركت الرجلين يتحادثان.

«انظر دومينيك اهدتني والدتي علبة سيجار كانت لـ غاي زوج والدتي.»

«جميل جدا.»

نظر سام الى زوجته وهي تقدم القهوة وقال لها:

«يا له من فستان جميل، لم ارك به من قبل.»

اجابته:«لقد اشتريته قبل زواجي مباشرة.»

«انه غالي الثمن على ما اظن.»

«الا ترى دومينيك اني موفق في زواجي؟» والتفت نحو دومينيك منشرح الصدر لرؤيته وقد نسي التعب والمشاكل في منزل والدته.

اجابته قائلة:

« لا تربك ضيفنا، فقد يضمر العكس.»

قال دومينيك:

« ان زوجتك جذابة، والآن بما انني عدت الى لندن اتمنى ان تسمح لي لارسمها.»

اجابه سام:«فكرة ممتازة. اتمنى ان ترسمها وتعطيني الصورة هدية لي في عيد ميلادي في تشرين (نوفمبر) القادم. هل يمكنك ذلك؟»

«عليها ان تجلس امامي لعدة مرات وتصبر لوقت طويل الى ان انتهي من رسم اللوحة.»

«لا اعتقد اني سأوافيك الى لندن كي ترسمني، فلدي اعمال جمة علي القيام بها.»

«ارسمك هنا اذاً في المنزل.» قالها ببرودة وعيناه تتأججان حباً، فامتقع وجه كريسيدا حقداً.

اجابت ممتعضة:

«لا اريد رسماً لي ....»

قاطعها سام:«لا عليك، اجلسي ما شئت وليرسم عينيك اللتين تشبهان في نظرتهما عيني المونا ليزا حبيبتي.»

اجابه دومينيك بفرحة كبرى:

«لقد اصبت الهدف تماماً.»

جلست صامتة مرتبكة تفكر بتلك اللوحة التي رسمت

لها ولم تكتمل بتفاصيلها الصغيرة. وتذكرت كلماته حينذاك وهو يقول:

«عيناك كريسيدا واسعتان وابتسامتك هي ابتسامة الجوكوندا، وعنقك الطويل خلطة عادة احبها في المرأة. انظري الى نظرتك الملتهبة التي تفوق نظرة الجوكوندا حسناً وذكاء.»

بادرها سام:« حبيبتي، انت صامتة. هل انت متعبة؟»

«نعم، نعم، اني تعبة.» اجابت وهي تنظر الى دومينك شذرا.

نظر دومينيك الى الساعة فوجد انها تخطت العاشرة ثم قال:

«عليّ الآن بالرحيل. الوقت قد تأخر. كنت اشعر بالتعب حين وصلت وبات علي الرجوع لارتاح.»

بادره سام :«ماذا! الوقت متأخر؟ لقد فاجئتني السهرة لم تبدأ بعد. فلنذهب الى ملهى ونقضي بعض الوقت نلهو ونتسلى.»

قالت كريسيدا على الفور:«لا،عليك القيام باكراً ولديك مسؤولية كبرى.»

قال دومينيك:«لا، اني راحل يا سام وسامحني ان اطلت زيارتي.»

قال سام:«لم ارك لوقت طويل؟» ضحك دومينيك ومد يده شاكراً تلك الجلسة الانيسة والعشاء الشهي.

صافحته دون النظر الى عينيه واستدارت منشغلة تلهو بورقة. ودعه سام بالقرب من سيارته ودعاه

www.elromancia.com

قضاء عطلة الاسبوع التالي في منزلهما حيث هناك
كثير من الاعمال التي يمكن ان يساعده بها في
حديقة.
سمعته كريسيدا يجيب:« سآتي ان لم يكن هناك
مانع.»
سعدت كريسيدا الى غرفتها باكية. تبعها سام يهدىء
من روعها دون ان يعرف السبب.

الفصل الحادي عشر

ذات يوم من ايام تشرين الاول (اكتوبر) القارسة
قامت عائلة راي بزيارة للعروسين. وقد اقيم
احتفال صاخب وعشاء فاخر على شرف الضيوف
الاعزاء. كانت الفرحة كبيرة والتهاني يوزعها
الأهل مندهشين بمنزل كريسيدا وسام الذي امسى
متحفاً صغيراً لكثرة الاشياء التي زينت اركانه
كانت فراني والدة سام قد تغيبت عن العشاء
لانشغالها بامورها الخاصة.
لاحظ الوالدان ان ابنتهما قد فقدت حيويتها السابقة
وقام حديث بين فريدا وزوجها حول الانقلاب
الحاصل في ذلك المنزل فعلق الطبيب والد كريسيدا
على الموضوع قائلاً:
«لا بد ان تلك المرأة، هي السبب في كل ما جرى. فاني
ارى سام ايضاً ليس على عادته.»
سألت الوالدة ابنتها:
«هل رأيت طبيباً؟ ربما انت حامل؟»
اجابتها بالنفي:
«لا اعاني من اي مرض،امي، اني بخير.ولست حامل
في الوقت الحاضر.»
سعدت كريسيدا بوجود اخيها سيمون الشقي الذي
اضاف اشراقاً على جو المنزل. في تلك اللحظات
السعيدة كانت تشعر على الرغم منها بضيق وانزعاج

www.elromancia.com

بعد ان رحل الجميع عادت وزوجها سام الى غرفتهما يأخذان قسطا من الراحة لكنها لم تستطع النوم وراودتها ذكرى دومينيك من جديد. ضمها سام اليه بحرارة وهدأ من سكينتها الى ان اغمضت عينيها.

كان دومينيك ملحاً على المجيء لزيارتهم في نهاية كل اسبوع وبدأت معتادة على ذلك واقتنعت ان الحياة يجب ان تستمر. اخذ دومينيك يساعد سام في اي وقت استطاع بتنسيق ازهار الحديقة وترتيب شؤون المنزل وبدا فرحاً مشرقاً.

كانت كريسيدا لا تزال غاضبة مما يحصل وفي قرارة نفسها تكن لدومينيك حباً كبيراً دون ان يعلم سام بالامر. غير ان دومينيك كان ينتابه شعور بالغبن والحرقة لأنه لم يحظ بها.

تمنت في لحظة من اللحظات ان تبوح بسرها لحبيبها سام. غير انها تمنعت في اللحظة الاخيرة حين بادرها قائلا:

«كم من النبل ان احظى بصديق مثل دومينيك. لقد نقذني ايام دراستي من دين مستحق. والآن يقوم بمعاونتي للتخلص من ديون امي التي تراكمت. غير اني متردد من اخذ المال منه. علينا بالاعتراف لهذا الرجل بالجميل.»

اجابته:«ارجوك، لا تأخذ منه اي مالٍ. نستطيع رهن منزلنا ان شئت.»

اجابها:« بالطبع نستطيع. لكن لماذا تعارضيني دائما بشأن دومينيك، انه صديق مخلص ووالدتي تعتبره عظيماً.»

«اما انا فلا.»

لكنها اذعنت في نهاية الامر لقرار دومينيك ثم لاذت بالصمت.

كيف يمكنها التخلص منه؟ كيف ستنسى ذكراه؟ انها لا تستطيع ان تخبر احداً عن دومينيك. وبدأت تنهار يوماً بعد يوم. وارتاحت حين علمت ان دومينيك غير آتٍ في نهاية الاسبوع بسبب زيارته لصديقه كونلتي.

في لقائه الاخير معها، على اثر حديث بينها وبينه قال لها مازحاً:

«سألقى هناك فتيات جميلات جداً غير اني لن احب سواك.»

«اخرس.» تتذكر الآن كيف نهرته كطفلة صغيرة.

في تلك الليلة عادت ذكراه اليها وقد شعرت بشوقها اليه وتمنت ان يرحل من البلدة ويتركها تعيش حياتها بسلام وهناء مع زوجها.

وجدت سلوى وراحة في وجود عائلتها بالقرب منها. جلس سام يسامر والدها . فوقفت تنظر الى والدها نظرات تشع املاً وتفاؤلاً وتمنت ان ترزق بطفل يشبه والدها.

نظرت نحو سام فاحست بمرارة. انه شاب قوي،

www.elromancia.com

لكن في الاشهر الاخيرة بدأ يشعر بالتعب والارهاق. فمشاكل والدته فراني كثيرة ومتطلباتها اكثر، فهي خائفة من انهيار زواجهما بسبب والدته وايضاً دومينيك فكانت تعتريها وهام تقضّ مضجعها.

تقدمت كريسيدا القهوة ووقفت تنظر الى رسمها في لوحة وضعت امام المكتبة وبدأ والدها معلقاً:

«لا اظنها تعجبني، انها ليست شبه حبيبتي كريسيدا.»

«وانا لا احبها.»

اجابت فريدا: «لقد رسمت بدقة ومهارة، تعجبني.»

اما سيمون فقد علق:

«تبدو كريسيدا الاصلية رائعة الجمال اكثر.»

كانت كريسيدا ترتدي في الصورة رداء اصفر اللون يحبه سام. وجلس يراقب رسم كريسيدا لامعان وشعرها الطويل منسدلاً فوق كتفيها. اما عيناها الباهرتان فقد استوقفتا سام. لن تنسى تلك اللحظات في ذلك المساء حين سأل سام دومينيك:

«ارى ان كريسيدا في هذا الرسم تبدو كالقطة الصغيرة المدللة.»

نظر حينها دومينيك الى كريسيدا ضاحكاً وقال:

«سندعو اللوحة بالقطة الصغيرة. هل توافقينني؟»

لم تجبه وخرجت من الغرفة غاضبة.

وفي ذلك المساء سألها:

«كان عليك ان تشكري الشاب على عمله الرائع، فهو قدم لك عملاً جميلاً.»

اجابته: «لِم علينا ان نتجادل في كل مرة اتكلم فيها عن دومينيك. لما لا تطلب من اصدقائك الباقين زيارتنا في المنزل؟ تيم مثلاً. عليك بالتغيير، لا يمكنك رؤية شخص واحد لمدة طويلة. لن يعجبك اذا انا استقبلت صديقة لي في المنزل كل يوم.»

غمرها بذراعيه وهمس في أذنها: «حسناً، احضري احدى صديقاتك وانا سأدعو دومينيك للحضور وستحل المشكلة.»

اجابته بلطف:

«لا اعتقدها فكرة مناسبة»

«صدقاً، ان كنت تمقتين دومينيك، سأطلب منه الا يأتي.»

«وانت تتركني بمفردي في عطلة نهاية الاسبوع لتخرج معه؟ لا. شكراً.»

قال بصوت مرح: «وانت تشتاقين الي، اليس كذلك؟»

هرعت نحوه ثم اسندت رأسها على صدره وبكت بحرارة.

«اعتذر، متأسفة. اعصابي متوترة ولا اعرف ما بي، سوف اذهب لاتناول دواء مهدئاً.»

اجابها:

www.elromancia.com

«لا، لن ادعك تدمنين على مثل هذا الدواء. إذا كان دومينيك يثير اعصابك سوف اطلب اليه عدم زيارتنا كريسيدا.»

«كلا، كلا، لن يعجبك هذا الامر فأنت تسر بزيارته كثيراً.»

«حسناً، لندعه ينهي رسم صورتك اولاً ثم نخفف من دعوته الى هنا ونستطيع دائماً منحه الاعذار.»

اجابته: «كلا، ستتسوى الامور. دعه يأتي، انت سعيد به وهو لطيف جداً. ان الاشياء المزعجة تتراكم علينا. ربما موت غاي والحالة التي توصلت لها والدتك كل هذا قد اثر فينا. لِم لا نكون حبيبين عطوفين كالسابق وننسى اننا زوجين لفترة من الزمن.»

غمر الزوجان بعضهما في لحظة حب وانتهى الشجار الذي كان قد بدأ بينهما. اقتربت منه ووضعت رأسها على صدره الحنون تهمس كلمات اذهلته وسلبت فؤاده، ثم غفت على يده لهنيهات قليلة. بعدها استفاقت على نعيق البوم في الجوار وحاولت النوم من جديد بعد ان احاطت سام بذراعيها الاثنتين وغفت بعد عناء كبير.

كان قد حدث ذلك قبل موعد العشاء مع اهلها بيومين. حيث وهي تقوم بتقديم القهوة رن جرس الهاتف. فتوقفت للحظة ثم هرعت مسرعة

الى غرفة نومها بحجة التبرج ولتجيب من هناك على الهاتف. وقفت هناك تحدق في اثاث غرفتها التي تحبها وتشعر فيها بالامان. كل ما في هذه الغرفة متناسق مع بعضه، من الستائر الى ورق الجدران حتى غطاء السرير الاصفر والسجاد. بدا كل ما حولها جميلاً جداً. اجابت مبتهجة:

«ألو.»

«قطتي الصغيرة.» اجابها الصوت الذي ألفته منذ كانت في روما.

«آه، هذا انت. لم تتصل بي؟»

«هذه اول عطلة نهاية اسبوع لي ولا اكون فيها الى جانبك، لقد اشتقت اليك.»

«لا تكن سخيفاً دومينيك.»

«اني اشعر بملل بالرغم من كل الاغراءات المحيطة بي ... فتيات رشيقات... طعام شهي. ولست راضياً.»

توردت خجلاً واجابته قائلة:

«تتصرف دومينيك وكأنك لا تدري اني متزوجة. هل فقدت رشدك؟»

«ليتني افقد رشدي.»

«كف عن مضايقتي دومينيك.»

وتمنت ان تنتهي منه وتنساه، انها لا تريده في حياتها، فليتركها تعيش بسلام مع سام.

قال لها:«تمنيت ان تجيبي انت على الهاتف. اين سام؟»

«انه يتكلم مع امي في الوقت الحاضر، فعائلتي هنا تتناول العشاء.»

«كل ما تطبخه قطتي الصغيرة غير شهي.»

تطايرت شرارات الغضب من عينيها واجابت:«الى اللقاء.»

«لا ارجوك لا تقفلي الخط. قولي انك مازلت تكنين لي بعض الحب.»

بدأت تقول:

«دومينيك...»

فقاطعها:

«لقد احببتني في روما لا يمكنك نكران ذلك.»

«حسناً، اجل فعلت.»

اغمضت كريسيدا عينيها وهي تشعر بالتوتر والغضب من عودته الى حياتها. انها تحب زوجها الآن ولا تريد خسارته ولا تريد ان تتأثر حياتها الحاضرة بماضيها. فقالت له بصوت مخنوق:

«لماذا لا تتركني لحالي يا دومينيك؟»

«كيف اتركك وانسى تلك العينين الجميلتين اللتين تنظران الي بهيام وانا ارسمك؟ وشعرك الاسود الطويل الذي ينسدل على كتفيك الجميلتين.»

سمعت كريسيدا صوتاً وكأن احداً آخر دخل على

الخط، فبدأ قلبها يخفق بشدة، لا بد انه سام، لان الهاتف الآخر موضوع في قاعة الجلوس، ولا بد ان سام سمع حديثها مع دومينيك.

قال دومينيك:

«كريسيدا...»

فقاطعته بسرعة:«الى اللقاء.» واقفلت الخط.

جلست على طرف السرير لفترة محاولة استجماع قوتها والسيطرة على نفسها. فسمعت صوت شقيقها يناديها:«كريسيدا، هل يمكنك المجيء، والدي يشعر بالتعب ووالدتي تريد الرحيل.»

عادت اليهم بسرعة ونظرت الى وجه زوجها، لكنه لم يكن ينظر اليها. لم تستطع رؤية رد الفعل في عينيه لأنه كان يتكلم مع والدتها وهم يتقدمون نحو الباب.

ضمت فريدا ابنتها بحب وشكرتها على الطعام وقالت لها بأنهم مضطرين للعودة الى المنزل بسبب توعك صحة والدتها.

قالت كريسيدا:«اجل بالطبع.»

ودعا الجميع وبقيا في الخارج حتى اختفاء سيارة فريدا عن الانظار. نظرت كريسيدا الى زوجها يشعل سيجارة بصمت. ثم قال:«سوف اذهب في نزهة على القدمين.» بدأ قلبها يخفق بسرعة، لا بد انه علم الحقيقة حتى ولو لم يقل لها ذ لك.

حاولت كريسيدا اقصاء الحقيقة عن سام، لكن يبدو ان الامور قد بدأت تتوضح.

بادرته قائلة:«هل ارافقك في نزهتك. الليلة هادئة رومنسية.»

اجاب:«كلا، شكراً.»

وقفت صامتة واحست بجليد في اعضائها ثم بدوار في رأسها. اغلق الباب الخارجي بينهما وذهب.

الفصل الثاني عشر

بدا الجو بينهما مشحوناً بالتوتر. تملكه القلق لكنه لم يظهر بمظهرالضعيف الاخرق. تلك الضربة لم تقسم ظهره. ساورتها وساوس شتى حيال ما حصل وهي لا تدري ان كان قد سمع صوتها وهي ترد على مكالمة دومينيك. لم تعد تعرف حقيقة شعوره نحوها. ارادت النوم لكنها لم تستطع وبقيت تروح وتجيء في غرفة الجلوس ثم خرجت الى الحديقة ثم عادت الى البيت وهي لا تدري ماذا تفعل. و بدأت تحن الى ذكراها معه في تلك الايام الخوالي حين احبته وتزوجته. وتمنت ان تعود تلك الايام الحالمة الجميلة يوم كان ينظر اليها بعينيه الجذابتين وتذوب عشقاً.

انتظرت حوالي ساعتين لكنه لم يعد. فجأة تذكرت يوم ناداها سام بالقطة الصغيرة، حيث ناداها بـ كريسيدا المخادعة بسخرية مزرية.

وضعت رأسها بين يديها وشهقت بكاء.

«لم ارد خداعه، قصة جرت في الماضي وكفى.كان ذلك قبل الزواج.»

لكن كل ما حصل لم يكن ذا اثر، عرفت ذلك لكن دومينيك خذلها.

واخيراً عاد سام الى المنزل. صعدت الى الطابق العلوي حين احست بقدومه، وسمعت الباب يغلق.

استدارت تهم بالنزول مجدداً ثم جمدت في مكانها تحدق به بغرابة. ملامح وجهه بدت هادئة.
سألها:
« لم انت مستيقظة حتى الآن؟»
ضحكت بصوت مرتجف، تمتمت:«لم استطع... لم اقدر... اعني... انا انتظرك.»
«ما كان عليك البقاء مستيقظة حتى الآن.»
رجفت خوفاً ولم تتحرك.
«سام...» بدأت بالكلام متوترة لكن قاطعها سام قائلاً:
«ارى انك ترغبين بنقاش ما. انا لا ارغب.»
توترت من جديد.
«لكن سام، علينا ان ننهي موضوعنا. ارى انك قد تغيرت معي... منذ كلمت دومينيك على الهاتف. هل سمعت ما ازعجك؟»
عندها حدجها بنظرة جعلتها تتجمد في مكانها.
«نعم، رفعت السماعة وسمعت ما دار بينكما من حديث... ارجوك، دعينا لا نتحدث بالموضوع الآن.»
اقتربت منه وامسكت كلتي يديه. لأول مرة تسمع سام ينادي دومينيك بكامل اسمه، فهو عادة يناديه بالعجوز دوم وايقنت ان الصداقة التي تربط بين الاثنين انتهت الى غير رجعة. ولم تتحمل ما رأته اذ تألمت لتألمه. قالت:
«ارجوك. دعني اكلمك. دعني اخبرك...»
قاطعها من جديد قائلاً:

«لا استطيع مواجهتك الليله. آسف.»
«لا يمكنك ان تأوي الى الفراش قبل ان نسوي المسألة.»
سألها:
«بماذا تريدين ان نتحدث؟»
«سام.»
«لو رغبت بالسؤال عما سمعت، اجيبك اني سمعت وعرفت انك كنت على علاقة به اثناء مكوثك في روما وانه رسمك هناك وانه مازال يحبك.»
شعرت ان الارض انشقت وتزعزع كل ما حولها.
«سام، لم اعد اتحمل معاملتك السيئة لي.»
«انا ايضاً لم يعد بوسعي ان اتحمل اكثر من طاقتي. خرجت لقضاء ساعتين من الوقت خارج المنزل ابتغاء إعادة توازني وهدوء اعصابي. انت بامكانك ان تعرفي اني لست مراوغاً وادقق في التفاصيل. ان كنت تظنين اني سأنتحر كما قال انه سيفعل صديقك الحبيب فاؤكد لك انك مخطئة. دعيني، اريد بعض الوقت للتفكير.»
نظر اليها شزراً وحدق فيها جيداً. لأول مرة ترى جانباً آخر لشخص سام. كان خوفها كبيراً. لم تعرف بالضبط ما يود فعله. برأيها بات عليه حزم امتعته والرحيل بعيداً. لكنها لم تخادعه واخلصت له من قلبها وعليه ان لا يحاسبها على الماضي.
عاودتها ذكريات ماريوكا، والحادثة التي حصلت مع فتاة قتلت على يد خطيبها. حينها سألته كريسيدا،

عما قد يقوم بعمله فيما لو تعرض لنفس الموقف واجابها ان الموضوع يعتمد. في مثل تلك الظروف ليس بامكان انسان التكهن بما سيفعل.

انتهى حديث سام بالقول مصارحة انه يكره من يخادعه.

حاولت تهدئة روعه، فاقتربت منه ممسكة بيده قائلة:

«دعني اشرح لك سام. مهما حصل معي في روما في الماضي، فأنا لم اعد احب دومينيك. اما الآن فأحبك لوحدك.»

رأت شبه ابتسامة ترتسم على وجهه غير انه افلت يده من يدها وقال:

«اشكرك وسأتذكر ما قلته دوماً.»

ثم سار بعيداً عنها وهو يتابع:

«هذا لو كنت اصدقك.»

احست بذل كبير اثر ما قال، وحدقت به مذهولة الى ان اختفى خلف السلالم. ثم صرخ من اعلى:

«اذهبي اغلقي النوافذ واحكمي اغلاق الباب الرئيسي.»

اجابته بحزن:«سأفعل.»

كانا يقومان بتدبير اعمالهما اليومية كالعادة. لم يكن سام يتناول طعام الفطور سوى في نهاية الاسبوع حيث يعد وجبته بنفسه. كان الجو لا يزال فاتراً بينهما الا انه كان يحرص على الاهتمام بها من بعيد.

كانت تردد لنفسها دائماً: ليتني كنت صريحة معه منذ البداية.

والآن، تحس بمرارة لا تقوى عليها. تذكرت تلك العبارة « البرق يدوي مرتين» تأذت اذاك في روما حيث احبت دومينيك وهجرها. واذاها اليوم هنا حيث تتعذب بحب سام.

دخلت الغرفة وتمددت على سريرها بالقرب منه. كان نائماً وقد ادار ظهره نحوها، واحست بالشغف لقسوة قلبه.

لم يتحرك او يتكلم معها فأيقنت انه يغط في نوم عميق. حل محل الخوف احجام وعناد وساد جو قاتم. بكت بحرقة واسف لما حصل بينهما.

كيف ينام غير مبالي فيما القلق يمزق صدرها. يا له من رجل! كيف به ينام يأكل ويشرب دون الشعور بها. لا بد انه تعب. فقد اجهد نفسه في بناء سياج الحديقة طيلة فترة الصباح. كادت تحاول اصلاح ما انكسر وإعادة الامور الى سابق عهدها غير انه بقي نائماً.

استفاق مرة خلال الليل، اغمضت عينيها كي لا يراها مستيقظة، استدار نحوها فلمست يده يدها ثم ما لبث ان فتح عينيه واستدار الى الجانب الآخر.

قال:«آسف.»

قالت بأسى:

«آه سام، ارجوك.»

توقفت عن الكلام حين لم يتحرك او يتكلم مجدداً.

www.elromancia.com

عادت فدفنت رأسها في الوسادة وغطت في نوم عميق.

عندما استيقظت. لم يكن سام بالقرب منها. كانت اشعة الشمس تتغلغل من النافذة مبشرة بيوم احد جديد ينتظره الاثنان كعادتهما.

لبست ثوبها وانتعلت حذاءها ثم نزلت الى المطبخ فوجدت ورقة على الطاولة دونت عليها ملاحظة صغيرة تقول:

«كريسيدا. بات علي التفكير في مسألتي المربكة واعذريني ان كنت قد احجمت عن الدخول في تفاصيل الموضوع. فإني لم استطع. اذ توجب عليّ توضيح الامور جيدا فالضربة التي تلقيتها وقصمت ظهري منك ومن اعز صديق لي لم اكن اتوقعها.

اني ذاهب الآن الى بلدة امي وسأقضي اليوم بأكمله معها. هناك كثير من المواضيع علي بحثها معها، لكن لن ادعها تعلم ما في الامر. وسأعود ليلاً في وقت متأخر .سام.

امسكت كريسيدا الورقة ورمتها في سلة المهملات. لقد ارتجفت شفتاها وتورد خداها حنقاً واجهشت في بكاء مرير. احست بالكآبة تعاودها. لقد تهدم كل ما بنته في لحظة وذهبت سعادتها مع الريح. على الرغم من تلك الافكار المتلاحقة والمتعبة التي راودتها عن دومينيك، استطاعت احتمالها في الاسبوعين الماضيين. حيث ان سام لم يعلم بها. عرفت اخيراً ان سام قد احبها بصدق ولو لم يفعل لما تصرف على

هذا النحو. كان قاسياً بطبعه. لكنه لا يتهاون في قضايا مصيرية. يبقى انه رجل ولديه من الاخلاق الحسنة ما يكفي.

لو لم يكن دومينيك هو المشكلة لأخذت القصة منحى آخر. كيف ينسى اعز صديق لديه كان في وقت من الاوقات حبيباً لزوجته.

بقيت مشحونة تهذي لساعتين او اكثر اثر قراءتها الرسالة. بدت لها المشكلة تتراوح بين الجد والهزل. لحظة تبكي واخرى تهوّن عن نفسها وتنشغل بأمورها الخاصة.

بعد ان نظفت غرفتها وأزالت الغبار عن اثاث المنزل، اعدت فنجاناً من القهوة ثم اشعلت سيجارة وراحت تتمشى في رواق الحديقة.

احست بطول ساعات ذلك اليوم وبانعزال تام. وبدأت تفكر بدومينيك الذي يلهو في ذلك الوقت مع بعض فتيات ولا يعلم ما قد جرى هنا. قد يأسف ويرثي لحالي لكن كل شيء قد تهدم. ولن يتمكن بعد اليوم من القدوم الى هنا. عدة مرات حاولت الاتصال بمنزل والدة سام لتطلب منه العودة الى المنزل، فقد كانت تحس بوحدة قاتلة غير انها لم تستطع. وحاولت فيما بعد الاتصال بوالدتها وأخذ مشورتها غير انها ترددت خوفاً من ان تفشي بسرها امام والدها فتتعقد الامور ويغضب ليس لديها اصدقاء آخرين تثق بهم كي تلقى حلاً معهم لمشكلتها وبقيت المسألة عالقة دون حل.

وبدأت كريسيدا تسأل نفسها، ماذا عليها ان تفعل؟ هل سيبقى سام معها، هل ستبقى زوجته؟ هل سيسامحها؟ هل سيرحل ويتركها لشأنها ام ستنال عقاباً ما في كلا الحالتين؟

بدأت تتململ تحاول ايجاد مخرج لقضيتها، فقد تركها وحدها تعاني ما تعانيه وذهب لوالدته يشكو همه. سوف لن تسامحه ابداً اذ غط نائماً يحلم وتركها تبكي في الليلة الماضية.

ندمت كل الندم كيف انقلبت عليها الايام. رجلان نقيضان، الاول قاسٍ عنيد والآخر انانى.

وقفت كريسيدا في الحديقة تنتظر قدوم سام فقد دقت الساعة السادسة ولم يعد بعد. كانت تفكر فيما ستفعله ان لم يأت في تلك الليلة.

جلست على حافة حوض من الزهور تعشبه وهي تفكر بوالدته حين اتصلت بها عند الصباح لتشكرها على حفلة العشاء التي اقيمت في الامس. وبدأت تبكي بندم على حظها التعيس. ترددت على مسمعها عبارة كادت تفقدها عقلها اذ قالت لها:

«لا بد ان والدك سعيد لزواجك من سام،وانا ايضاً في حقيقة الامر.»

كادت تتمزق من وقع تلك الكلمات عليها. حاولت ايجاد سلوى في عمل من الاعمال فذهبت الى المطبخ تلمع اواني فضية كانت فراني قد اهدتها لها يوم زواجها. بعد الانتهاء صنعت كعكة من التفاح يحبها سام. عند الساعة السابعة سمعت صوت محرك سيارة

نظرت في مرآة المطبخ بعينيها الحمراوين. تبرجت قليلاً وسرحت شعرها ثم خرجت الى الردهة تستقبل سام بفرح وقد ارتدت فستاناً ازرق اللون يحبه زوجها العزيز. لخيبة املها رأت دومينيك يقف امام سيارته المتوقفة في الخارج. وقعت الواقعة بمجيئه وسيعقبه مجيء سام الذي سيقلب المنزل على رأسها.

مشى بخطى ثابتة الى ان اصبح امامها.

كان طقساً حاراً اليوم وانقضى. ثم نظر الى وجهها الشاحب فبادرها :

«ما لي اراك منزعجة عزيزتي؟»

لم تجب، بل استدارت ودخلت المنزل. كانت الساعات القليلة الماضية تعيسة جداً بالنسبة اليها حتى انها لم تلاحظ العاصفة الهوجاء التي عصفت وكادت تقضي على ازهار الحديقة وبعثرت كل الاشياء المحيطة بالمنزل.

جلست بقربه في غرفة الجلوس وبدأت تحدثه بصوت هادىء ومرتبك فيما كانت يداها ترتجفان وكأنها تلميذة مدرسة.

قالت له:«اشكرك على مخابرتك لي في الامس... لقد انتهى كل شيء.»

اجابها:

«ما هو الذي انتهى؟»

احست تلك اللحظة ان ذلك الرجل انانى يضمر لها الشر ودمر حياتها تدميراً كاملاً فقد توضحت الامور امام ناظريها على الرغم من اعتباره فناناً لامعاً

ذا دهاء كبير. قالت:« اكرهك. اكرهك من كل قلبي.»
حدق بها ثم ابتسم هازئاً وهز كتفه لاهياً.
« عزيزتي كريسيدا، في الحقيقة لا ادري عما تتكلمين؟ اين سام؟»
«انه قادم في اي لحظة من اللحظات، لو سمحت عليك بالمغادرة الآن.»
«لم يغادر منزله في عطلة نهاية الاسبوع. حسبته يعشب الحديقة لذا اتيت لاساعده.»
«انت تستهزىء بالامور. لم تأتي دون اتصال؟»
نظر اليها خجلاً :«تبدين قلة تهذيب وعدم احترام، حبيبتي.»
«لست بحبيبتك.»
«هيا، دعينا نوقف هذا الجدال، انه ممل. لقد ضجرت واتيت الى هنا على الرغم من الصحبة والصحبة اللاهية. اتيت بسرعة جنونية لأقضي بعض الوقت معك.»
«اسمع دومينيك . كل ما تفوهت به على الهاتف سمعه سام.»
الآن تبدلت حال دومينيك وشحب لونه وبدا مذعوراً. قال:«في الحقيقة، لا ادري ما تفوهت به.»
«بالطبع لن تتذكر.اصبح يعرف كل شيء... كل شيء عنك وعني. ماذا تريد بعد؟»
اخرج سيجارة من علبته وقال:
«اذن قد تعقدت.»
«بالطبع، ما رأيك؟»

«ما الذي سمعه، ماذا قال لك ؟»
«رفض الاستماع الي ليلة البارحة،وقال انه بحاجة للتفكير لبعض الوقت.»
«لا بدّ انه همس بكلمة.»
«لقد انصت الى المخابرة عن غير قصد. اراد ان يعرف مع من اتكلم وعندما سمع صوتك انصت الى حديثنا.» اكملت. «احب ان يقول كلمته.» ثم ضحكت ساخرة.
«هذا كل شيء؟»
«يكفي ما حصل. لم يلمسني او يكلمني منذ ايام. ذهب اليوم الى منزل والدته لانهاء بعض الامور العالقة وسيعود متأخراً. عليك بالذهاب قبل ان يعود ويراك هنا، يكفي ما سببته لي.»
راح يسير في الغرفة ذهاباً إياباً وينفث دخاناً من سيجارته.
«يا للكارثة، لقد تفوهت بكلمات حميمة عن غير وعي.»
«حسناً قد قلت ما قلت ووقعت الكارثة.»
«لا يمكن ان يسعى الى الطلاق منك لمجرد انك كنت حبيبتي قبل ان يعرفك. امر سخيف حقاً.»
بدت كريسيدا غاضبة ومحرجة وعادت تخامرها افكار العودة لا سيما ان سام قد تغير في الايام القليلة الاخيرة.
رمى سيجارة من يده وتقدم نحوها وهو يقول بعصبية: «قطتي الصغيرة، انا آسف، لم ارد ان يحصل

هذا. يهمني امر سام واحبه ربما لن تصدقيني حين اقول لك اني لا اريد اذيته ونادم جداً على ما اقدمت عليه. أنا آسف صدقيني.»

كلامه واعتذاره اقنعا كريسيدا بصدقه. عليها الآن تسوية وضعها مع سام. لم تستطع السيطرة على دموعها. فبكت وهي تسأله:

«ما الذي سنفعله، دومينيك قل لي؟»

حاول التنصل من الموضوع والابتعاد قدر ما فيه عن هذا البيت من اجل سعادتها وسعادة سام.

«آه، اني متأسف جداً وخائف على مصيرك. ماذا استطيع ان افعل لأصلح الخراب الذي حصل؟ انا مستعد للزواج منك في حال حصل الطلاق بينكما.»

نظرت اليه ثم ضحكت ضحكة رن لها المكان، لم يسمع بمثلها من قبل. قالت متعجبة:

«لو سألتني هذا السؤال وانا في روما، لما وصلت الى ما انا عليه الآن.»

قال بهدوء: «لم اكن جاداً حينها.»

«اشكرك ان اردت الاعتراف بحبك لي والزواج مني. غير اني لست راضية، الآن، لا احبك كما لا اهوى الزواج بك.»

هز كتفيه بحنق وعض شفته السفلى الماً.

«اعتقد ان افضل شيء اعمله الآن هو الذهاب في طريقي والابتعاد عنكما.»

نظرت اليه والدموع تنهمر من عينيها:

«نعم، اظنه الحل الافضل.»

«علي اخذ اغراضي اولاً.» وتقدم نحو الغرفة الثانية، اخذ عدة الرسم والتلوين والاوراق وترك رسمها مكانه. وحين عاد اليها قال:

«احتفظي بالرسم لنفسك انها شبه منتهية لكنها جميلة هكذا.»

لم ترد عليه، انه الرجل الوحيد الذي احبته بجنون لكن يجب انهاء كل شيء الآن. فجأة هبت العاصفة من جديد وبرقت السماء ثم رعدت وهطل المطر. طلبت منه انتظار العاصفة الى حين هدوئها.

«لا يهمني القيادة اثناء العاصفة .»

اعترضت قائلة:

«ارجوك.»

تكلم لكنها لم تسمعه بسبب دوي الرعد القوي. وقف عند الباب، ونظر اليها قائلاً:

« لكني لا اريد مواجهة سام الآن، ومثلما قلت من غير المستحسن ان يعود ويجدني هنا.»

«لا يهمني ان ابقى او لا ابقى

طأطأت رأسها موافقة.

فجأة عاد اليها مسرعاً وضمها اليه.

«آه، قطتي الصغيرة، حبيبتي، آسف لأني دمرت حياتك مرتين في هذه الحياة. لقد اعتقدت اننا سنكون اصدقاء نحن الثلاثة، لكن زوجك من النوع المثالي الذي لا يرضى ان تكون زوجته على علاقة بأحد في ماضيها. انا اعرف كيفية تفكيره بنا وباعتقاده ان كارثة قد حلت به لكنه سيتخطى الامر، فهو يحبك

www.elromancia.com

كثيراً. سوف اشتاق اليك... اتمنى لكما السعادة.»
«آه، دومينيك، دومينيك، ارجوك اذهب، اذهب.»
افلت يديها الاثنتين فارتمت على الكنبة تبكي بقلبها المنكسر ليس على فراقه فحسب بل على ما تسببت به لسام.

الفصل الثالث عشر

بعد مغادرة دومينيك، انحسرت العاصفة. توقفت كريسيدا عن البكاء ثم صعدت الى غرفتها لتضع الزينة على وجهها من اجل سام، الا انها بدلت رأيها في آخر لحظة فقد بدت عيناها حمراوتين كئيبتين.
فعادت الى غرفة الجلوس، بعد ان هدأت اعصابها فتحت الباب ونظرت الى الحديقة فشاهدت آلة التشذيب التي بقيت في الخارج ولم يدخلها سام.
دخلت الى المطبخ لترى الوقت وبدأت تضطرب قلقاً.
كانت الساعة التاسعة ولم يأت سام.فكرت في الاتصال بوالدته للاطمئنان.
اجابتها كاوت رفيقة فراني:«آلو.»
اجابت كريسيدا محاولة التحدث بلطف:
«آه، كاوت كيف حالك؟»
«نشكرك انك تركت سام يزورنا. فراني بحاجة اليه الآن لتخليص بعض المعاملات، فهناك اوراق كثيرة.»
«هل لا يزال سام هناك؟» سألتها وقلبها ينفطر.
«لا حبيبتي، لقد ترك منذ وقت طويل.»
وضعت اصبعاً على شفتيهاغاضبة ثم سألتها :
«متى ترك، كاوت؟»

«آه، اظن في السادسة والنصف لموافاتك على العشاء كان عليه ان يصل الى البيت حوالي الثامنة.الم يصل بعد؟»

فكرت كريسيدا، مهما حصل لا يجب ان تعلم كاوت بأي شيء عنهما كي لا تخبر فراني. وقررت التفوه بكذبة، لذا قالت:

«اعلم اين هو، فقد قال فيما مضى انه في يوم ما حين يعود من البلدة سوف يزور صديقاً له في رايغات. هذا ما حصل.»

«لا بد ان العاصفة اخرته، هل شاهدتها؟»

«اجل، اظن انه لا زال في رايغات منتظراً هدوء العاصفة. لا تقلقي، كيف حال فراني؟»

«افضل من ذي قبل لكنها مازالت مكتئبة.»

بعد ان تحدثت الى كاوت ثم فراني وضعت السماعة من يدها وعادت حالة القلق اليها، وعلمت حينهاان سام لم يدلي بما حدث لأمه. غير انها علمت من كاوت انه كان مرهقاً طوال الوقت.

بدأت تقلق عليه وساورتها شكوك بشأنه. العاصفة قوية وقد يحصل امر سيء على الرغم من عدم تهوره في القيادة. ازداد قلقها عليه. كانت تتمنى قضاء يوم الاحد معه بفرح لكن دومينيك قد اخفق بما فعله. ليته يكرهها وتنتهي قصتها. قامت تحضر فنجاناً من القهوة السوداء ونظرت الى الطعام على

الطاولة بغير شهية ثم ارتشفت قهوتها مع قطعة حلوى.

رجعت الى غرفة الجلوس نظرت الى اللوحة التي رسمها دومينيك. يوم غد، سوف تحرقها او ترميها بعيداً عن البيت كي تتخلص من ذكراه. لكن كيف ستحل الامور، هل سيعاقبها سام على ما فعلت.

وفجأة لمع ضوء خافت امام الحديقة. ركضت لملاقاة سام الذي مشى بخطى بطيئة نحو المنزل. بادرته قائلة:

«آه، سام، لم تأخرت. كنت قلقة عليك؟»

اجابها:

«نعم.»

«لقد اتصلت بوالدتك فأجابتني كاوت بأنك غادرت منذ الساعة السادسة.»

«نعم.»

ثم دخلا غرفة الجلوس حيث جلس قبالتها عاقداً اصابعه وتغيرت سحنته فبدا شاحباً وعيناه بدتا متورمتين من شدة الاحمرار.

«آه سام.» قالت من جديد بصوت خشن:

«قلقت عليك طوال الوقت.»

نظر اليها نظرة عرفت من خلالها انه يحبها لكنه ما زال حانقاً عليها، فتألمت. حاولت جاهدة محو تلك المسحة الحزينة من عينيه الزرقاوين لكنه بقي صامتاً لا يجيب.

جلست على الارض بقربه ووضعت احدى يديها

على ركبته ووجهها على الركبة الاخرى. حاولت اقناعه ان ينسى ما حصل. نظرت اليه قائلة: «ارجوك سام سامحني. حاولت مراراً ان احدثك بهذا الشأن لكني في كل مرة كنت اتردد. فقد كنت اجدك متعلقاً بصداقته، وهذا ما زادني صعوبة. انت تكرهني على ما فعلت، اليس كذلك؟ علاقتي به كانت قبل معرفتي بك في روما. الآن انت كل حياتي، ليتك تنسى وتعلم انه لا يعني لي شيئاً الآن.»

قال لها:

« لم يعد دومينيك يعني شيئاً لاحد بعد الآن.»

تجمدت فزعاً.«ماذا تعني؟»

«آسف اني لم اتريث في الجواب. سبب تأخري هو ازدحام السير والعاصفة التي هبت. على حافة الطريق كانت سيارته المرسيدس محطمة على اثر حادث مروع طال سيارتين اخرتين. وقفت سيارات الشرطة وحشود الناس هناك تتفرج. ترجلت من السيارة وتقدمت للاستفسار عما حصل فعلمت ان السيارة المرسيدس البيضاء عائدة لدومينيك.»

«يا للهول!» رددت قائلة وهي ترتجف .

«كان ملقى على حافة الطريق وقد وضع غطاء ابيض عليه. منعتني الشرطة من التقدم نحوه لكني اعلمتهم انني صديقه، اقتربت منه محاولاً مكالمته لكنه نظر الي لبرهة ثم اغمض عينيه ومات.»

«اهذا كل ما في الامر. مات فحسب بكل بساطة؟» بدا وجهها شاحبا .

«نعم، قال لي شاب تعرض للحادث ذاته ولم يصب بأذى، انه عانى من جراح ونزيف داخلي اثر الحادث. كان يقود بسرعة جنونية. لكن غريب يبدو انه اراد ان يموت، لكنه ليس من هذا النوع من الناس. انه يحب الحياة. الا توافقيني الرأي؟»

هزت كريسيدا برأسها موافقة وهي ترتجف.

«الم يهمس بكلمة البتة؟» سألته بصوت متهدج.

«في الحقيقة قال شيئين. . آسف صديقي العزيز ولا تكن غبياً وتأخذ موقفاً من كريسيدا.»

هنا وقعت كريسيدا على الارض ثم غطت وجهها بيديها وبكت.

لم يستطع سام لمسها من شدة تأثرها والاقتراب منها. ثم نهض وبدأ يسير في الغرفة وسمعته يقول:

«لم يكن لدي ما اقوله، اعطيت تعليماتي الى رجل الأمن وعنوان آلدو كونلتي زميله. كونلتي يعرف بمن يتصل في البرازيل، عمه هناك.»

تحدث سام بهدوء على الرغم من ضخامة الحدث محاولاً تهدئة كريسيدا قدر الامكان. ونهضت من مكانها تمسح عينيها وتجفف دموعها مذهولة لما حدث. كان منذ دقائق معدودة هنا يكلمها وينظر اليها بعينيه الجريئتين اللتين تشعان ذكاءً وحيوية وينعشها بلقبه المعتاد:

«القطة الصغيرة.»

قالت وهي تتأوه:

«يا له من امر فظيع قد حدث.»

«نعم، يا للعواطف كيف انها تتبدل في لحظات قليلة. لم اتمنى له الموت يوماً بل كنت اود ان يأخذ عقابه على اساءته لنا. كنت قد عزمت على الشجار معه بسبب ما تسبب لي ولك من اسى غير اني حين وجدته مرمياً على الارض مضرجاً بدمائه لم استطع الا ان ارثي لحاله، مسكين دوم العجوز قد قضى.»

«سام، كنت استعد للبوح لك بكل شيء هذه الليلة. كان ذلك حين كان دومينيك هنا معي. اما الآن فقد مات، وبات الامر مختلفاً جداً.»

قال سام:

«نعم.»

«انا اعرفك جيداً يا سام.» قالت وهي ترتجف من شدة الخوف:

«لا زلت تقول انه صديقك العزيز وتنعته بدومينيك العجوز، حتى الآن. لم يعد بامكانك كرهه بعد اليوم، لكني اعتقد بأنك مازلت تكرهني.»

والآن رمقها بنظرة متفحصة غريبة.

«كلا، لن استطيع ان أكرهك كريسيدا.»

«اذاً انت لم تعد تحبني.»

تردد ثم قال:

«لن استطيع الاجابة على سؤالك الليلة. اني في حال مزرية. وافضل تأجيل نقاش الموضوع الى الغد.»

عندها ضحكت ضحكة هستيرية قائلة:

«حسناً، ان كنت تعتقد اني استطيع تحمل ليلة اخرى مثل ليلة امس فأنت مخطىء.انا اعلم ان الرجال يختلفون عن النساء. انت تستطيع ان تغفو لكن انا لا، فالقلق ينتابني ساعة بعد ساعة. انت تستطيع التحكم بأعصابك لأنك قوي لم اكن لاصدق انك على هذا الشكل.»

نظر سام اليها بتعجب وقال:

«لا اعتقد انك تفهمين ما احس به.»

نظرت اليه بمرارة وقسوة متذكرة دومينيك. قبل ان يأتي سام قررت تسوية ما تهدم بينها وبينه والانطلاق من جديد لبناء عائلة جميلة لكن بعد موت دوم بدلت رأيها واخذت موقفاً معادياً منه إذ اصبحت اكثر عنفاً وشراسة لموقفه القاسي الذي لم يعجبها حيال موت صديقه. ثم انفجرت قائلة:

«اعرف جيداً ما تشعر به. انت انسان طيب ولطيف لكنك لا تقدر ان تتصرف مثل دومينيك. اعرف اني قد اخطأت اذ لم اصارحك بقصتي معه في روما. لكن ما جرى قبل ان اتزوجك من حقي وليس من حقك. انت حاولت بشتى الطرق ان ترمي بهالة بريئة حول شخصي. لطالما قلت لك ان تبعده عن

www.elromancia.com

هذا البيت ورفضت. مع كل هذا تعقدت الامور على الرغم من قسمي على ان اخلص لك بعد الزواج. دومينيك لم يكن يوماً مثلك ولا يؤمن بما تؤمن به انت، افهمت.»

بعينين زائغتين ووجه احمر نظرت الى سام ثم تابعت حديثها قائلة:

«لقد قرر زعزعة حياتي من جديد بعد زواجي منك. اعترف بذلك ورفضت ذلك بعنف لأني اغرمت بك. لقد تألمت كثيراً. مررت بأيام قاسية تعيسة هددت حياتي.» ثم انفجرت بكاءً. وتابعت:

«ان اردت معاقبتي ولومي على ما حصل معي في الماضي... حسناً، إفعل وان اردت الانفصال عني الآن فافعل وابحث عن فتاة اخرى تناسبك.»

انفجرت كريسيدا بالبكاء ثانية ثم تركت الغرفة بسرعة. وقف سام مذهولاً ينظر اليها بلا حراك وقد شحب لونه.

ايقن ما كان بين زوجته وصديقه واحس بصدمة موجعة الى ان قضى دومينيك ، حينها تذكر عبارته: «لا تلق اللوم على كريسيدا.»

التعب انهك قواه ولم يعد قادراً على التمييز ما بين الصالح والطالح. كان يحس ان ما بينهما قد انكسر. لكن فيما بعد، اذ سمع تأوهاتها فرثى لأمرها واقتنع بمصيره.

مات دوم العجوز. مات المسكين وانتهى. بقي ان

يسوي وضعه مع زوجته وان يرتاح من انانيته التي وصفها دوم بالجنون.

صعد الى غرفة النوم فوجد الباب مغلقاً في وجهه. نظر جانباً فرأى زي النوم الخاص به مرمياً على كنبة المدخل. غضب اذ رأى ان كريسيدا لا تريده تلك الليلة معها. وعاد يسأل نفسه من المخطىء. عرف في النهاية انه المسؤول الاول عما حدث. فتح باب الغرفة وفي العتمة الحالكة شاهد النافذة مفتوحة وزوجته تكومت تحت غطاء السرير الحريري.

اقترب من السرير وجلس بجانبها ثم قبلها بلهفة وضمها اليه. قال:

«حبيبتي، حبيبتي، حبيبتي.»

كانت تبكي من ألمها وارتمت عليه تتنهد.

«سام، سام حبيبي.» تمتمت اسمه بهدوء.

حضن رأسها الى صدره وقبلها معتذراً.

«آه كريسيدا، اني اكاد اجن على فراقك، لا اطيق نفسي وحيداً بعيداً عنك. لن اترك احداً يبعدنا عن بعض مجدداً. سأبقى الى جانبك ان اردت.»

«انت لا تحبني سام.»

«لم اقصد الاساءة اليك حبيبتي.»

«لكنك اظهرت كرهك لي.»

«لم تفهميني ولن تفهميني ابداً.»

«لكنني فعلت.» قالت متنهدة وارتجفت من رأسها الى اخمص قدميها.

«لقد اسأت اليك بزواجي منك.»

«حبيبتي، ما عساي ان افعل حين وجدت علاقة تربطك بدومينيك في روما؟ كنت اتساءل ان كنت ما تزالين تهتمين لأمره.»

دفعته بعيداً عنها غاضبة.

«بالطبع لا. يكفيني ما انا عليه. ابتعد عني.»

«انا لست قاضياً اقاضيك لمجرد غلطة ارتكبتها.»

مسح بيده جبينها وتابع:«امنحيني بعض الوقت كي اسامحك وانسى.»

«لن تسامحني ولن تنسى. لكني لا اريد ان امضي بقية حياتي وانا ادفع ثمن غلطة ارتكبتها في الماضي. ستبقى تلك الغلطة في مخيلتك ابداً.»

«انت مخطئة، اقسم لك ان ذكرى دومينيك لن تكدرني.»

وضمها اليه بحنان، بدأ سام يفكر، يا لها من طفلة مسكينة، عزيزتي كريسيدا... لن يسمح لاحد بالتفريق بينهما، سيظلان معاً دائماً. مهما حصل في الماضي، فهي ستبقى زوجته المحبة والمخلصة.

«انا احبك كريسيدا، وقد سامحتك على الماضي... لكن ان اردتِ البقاء ابقِ وان اخترت الرحيل ارحلي.»

«لا، لا اني احبك ولن ارحل. احببتك حباً جنونياً ودومينيك يعرف ذلك لكنه لم يكف عن مضايقتي، لطالما نبهته فلم يرتدع.»

«كم عانيت من الم. لم ادري حقيقة الامر. كل ما استطيع قوله لك هو، انا اسف.»

«كنت اتمزق في كل مرة كان يحضر دومينيك الى هنا الى ان بحت بالسر.»

عندها تنهد سام مرتاحاً.

«الآن عرفت لم كنت تمانعين مجيئه الى هنا.»

«يكفي سام، لننسى ما حصل في روما. لكن ارجوك ساعدني لابقى الزوجة المحبة كما عهدتني ودعنا نعيش بسلام من الآن فصاعداً.»

«انت حبيبتي الى الابد. كنا سعيدين الى ان حصل الانفجار الكبير.»

اخذت كريسيدا محرمة، جففت بها دموع عينيها وهي تضحك وتقول:«من حسن الحظ ان الظلام يعم المكان حتى لا ترى وجهي البشع وعيني المتورمتين.» اخذ سام يؤانسها فلمس بيده انفها الصغير ثم همس في اذنها:« انت تملكين اجمل وجه في الكون.»

قبلها بحب وتابع:« امازلت تريدينني ان انام في الغرفة الثانية؟»

« لا، لا.»

ان حبها لزوجها يفوق الوصف وقررت الاخلاص له مدى العمر فقد اظهرت لها الايام انه الشخص المناسب بتسامحه وكرمه وحبه لها.

فقالت له:

«من الآن وصاعداً دعنا لا نأتي على ذكر دومينيك.فأنا آسفة انك خسرت صديقك.»

قال سام:

«هذا لطف منك. انه وضع محزن للغاية.»
في غياب دومينيك ماتت القطة الصغيرة والآن كريسيدا الجديدة هي من تسكن في خاطر سام.

الفصل الرابع عشر

ذات يوم من ايام تشرين الاول (اكتوبر) الجميلة وعقب سنة على انتقالها الى المنزل الجديد جلست السيدة فراني تخط رسالة الى ابنها.
كانت قطنت في ذلك المنزل منذ ثمانية اشهر في بارك هولاند.
بدأت تكره حظها الذي جعلها تسكن في هذا المنزل، وتكره ما حولها حتى مدبرة منزلها التي جلست مكان حشد خدمها الى جانب كاوت المقيتة.
في ذلك اليوم بدت في غاية الجمال والاناقة واصغر سنا على الرغم من تعاستها. قامت تكتب رسالتها لأن وسائل الاتصال مقطوعة وينبغي عليها وضع ابنها سام على علم بكل ما لديها من شؤون. بقيت تتردد الى الريف لزيارة ابنها خلال عطل نهاية الاسبوع وراقت لها زوجته لاهتمامها وحفاوتها بها مع شلة من الاصدقاء. لكن شكواها ما انقطعت عن رغبة ولدها وزوجته في المكوث بمنزل بارد رطب وحديقة تنتظر عملاً شاقاً فهي تريد ان ينتقلا الى المدينة.
علمت بأمر موت دومينيك فحزنت اذاك وتأثرت لتأثر سام. توقفت وهي تكتب عند رسم لرجل يتزلج وضعته على طاولة مكتبها. كانت قد حملت امضاء: «الى حبيبتي فراني من صديقها ماكس.»

تضمنت رسالتها اخباراً تتعلق بـ ماكس. وقد ملأت اربع صفحات من الكلام المنمق.

«ستندهش انت وكريسيدا حين تعلمان انى عزمت على الزواج من ماكس، ذلك الالماني الثري الذي كنت قد قابلته ذات مرة في حفل اقمته عندنا. ارجوك لا تكرهه لانه يفوق زوجيّ الاثنين ثراء. وسأعيش معه في ريف المانيا بالقرب من ميونخ ونشتري شقة في باريس لعمله الدائم هناك. يقال انه يحب النساء غير اني غير آبهة، أفوقه سناً لكن تدبرت امري معه.

اني اصغر منه بخمس سنوات. لا تخذلني من فضلك. فقد حزمت امتعتي ولم يبق امامي سوى الرحيل.

سنتزوج في كاستوم وسننتقل بعدها الى ميونخ. هناك نبقى لبعض الوقت ثم نعود الى باريس. ليس عليك! لا تقلق! سأراسلك وارسل بهداياي اليكما اضافة الى شك مصرفي من حين الى حين. اذهب وخذ جميع الاواني الفضية والزجاجية من منزلي فأنا ما عدت بحاجة اليها. اما بالنسبة لـ كاوت فقد منحتها شقتي الصغيرة وسأتكفل بدفع فواتيرها شهرياً من هناك.

تمنياتي بالسعادة لك ولزوجتك كريسيدا. والدتك الجميلة الشابة « فراني» .

بدت سعيدة وهي تضع رسالتها في مغلف لترسلها اليه.

نادت كاوت لتحضر لها حماماً منعشاً.

بدأت تفكر، سوف احصل على لقب جديد. نظرت الى

المرآة تحدث نفسها وقد بدت اصغر سناً ونحيلة اكثر من كريسيدا نفسها. قررت استبدال ثيابها بأخرى جديدة ومنحها للحبيبة كريسيدا، ما ان تنوي الرحيل. هناك ماكس ينتظرها . فقد اعجب بها وبشعرها الفضي الجميل وبهرته عيناها بتلك النظرة البريئة التي اذابته منذ النظرة الاولى. كل ما فيها بهره. ذوقها الرفيع في اختيار الثياب، اناقتها، لياقتها البدنية. كل ذلك قد حدا بها الى نسيان غاي بشكل تام.

دق جرس الهاتف.

انه ماكس فقد اخبرها بأنه يريد اصطحابها الى حفل في السفارة الالمانية وسيرسل من يقلها بسيارته المرسيدس بصحبة آل رافنغدون منهم ماريل التي حسدتها على ماكس الاشقر الطويل.

اجابت فراني على الهاتف: «آلو.»

اجاب سام :«آلو، هذا انا سام.»

«آه، حبيبي، كنت قد كتبت رسالة لك وانهيتها لتوي.»

«كتبت رسالة! لماذا؟ هل عندك اخبار جديدة؟»

«كتبت بعض الاخبار السارة. على كل حال حاولت الاتصال بك لكن الخط مقطوع.»

«ما هي اخبارك الجديدة؟»

«لا استطيع قولها الآن سوف تقرأها في الرسالة صباح يوم الاثنين.»

«حسناً امي وسأزفك بدوري بنبأ سار. انا وكريسيدا

سنرزق بمولود جميل حسب ما قاله الطبيب وستصبحين جدة.»

اجابت:«متى؟»

«دعيني اتذكر، في اواخر شهر(مايو) ايار او في اوائل حزيران (يونيو) نحن متحمسان جداً وفريدا الى جانبها طوال الوقت.»

«بالطبع.» قالت ذلك وتملكها خوف شديد اذاك وغلبتها حيرتها اذ عرفت ان والدتها تهتم بها.

«حسناً، اني جد فرحة.» قالت فراني ذلك بصوت عالٍ.

«امي، لا تقلقي علينا فنحن نتمنى لك كل السعادة.»

«بالطبع، اجل.» قالت فراني ذلك وفي قلبها غصة.

«والدتي، انا اريد فتاة، وكريسيدا تريد صبياً. ان جاءت فتاة سأسميها فرانسيس.»

توقف الكلام فأحست فراني باكتئاب شديد ثم سمعته يقول:

«ماذا في الرسالة؟»

«ستعرف حالما تصلك.»

ثم انتزعت زوجته السماعة من يده قائلة:

«فراني، الم تفرحي؟»

«بالطبع، انني سعيدة جداً.» وتمنت ان لا يراها سام على حالها حزينة.

قالت كريسيدا:

«اريده ابناً صالحاً وجميلاً مثل سام الرائع. الا توافقيني الرأي؟» تابعت تقول من دون ان تعلم بمشاعر فراني.

«عظيم.» اعادت الكرة من جديد.

ثم نادتها كاوت من خلف الباب.

«الحمام جاهز عزيزتي.»

جلست فراني على المقعد الوثير مضطربة ثم وقفت امام المرآة تسائلها عما يجري، منذ لحظات كانت تشعر بالحيوية والشباب اما الآن فقد وعت على الحقيقة، حياتها وعمرها تملكا منها. ستصبح جدة عن قريب وماذا سيحل بها لو عرف ماكس؟ لو هي تزوجت به لحلت كارثة لا محالة.

دقت كاوت باب غرفتها ودخلت ورأتها تبكي بحرقة.

في دوريونس جلست كريسيدا وزوجها يحتفلان بالمناسبة السعيدة .

قالت حينها كريسيدا.

«يا له من طفل محظوظ.»

قال سام:

«ليتني كنت اعرف انك سترزقين بطفل لكنت زفيت الخبر لاصدقائي الاعزاء. »

حينها ساد صمت رهيب وحزنت كريسيدا اذ تذكرت دومينيك. عرف سام من نظرة عينيها بمن فكرت، تقدم نحوها فقبلها على جبينها ثم عاد فجلس.

هناك جرى نقاش بين الزوجين عن تسمية الطفل فقال سام انه لا يهتم للاسم بقدر ما يهتم لمستقبله

www.rmancia.com

سيسعى لتعلمه في ارقى المدارس والجامعات. وحياته ستكون مرفهة فوالده، سام لم يعد فقيراً كالسابق.

ودخلت كريسيدا معه في نقاش حول رسالة والدته فأجابها انه لا يعلم محتواها غير انه منتظراً قدومها يوم الاثنين التالي.

تـــــــــمت

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة